الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية فى ظل هيمنة العولمة - دراسة ميدانية على بعض موجهى اللغة العربية

د / إيمان جابر شومان
أستاذ الاجتماع المساعد
كلية الآداب - جامعة كفر الشيخ

د / إيناس محمد غزال
أستاذ الاجتماع المساعد
كلية الآداب - جامعة المنوفية

الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية في ظل هيمنة العولمة – دراسة ميدانية على بعض موجهي اللغة العربية (*)

محتويات الدراسة

- مقدمة .
- الإطار النظري للدراسة .
- إشكالية الدراسة .
- الدراسات السابقة .
- أهمية الدراسة .
- الأهداف .
- التساؤلات .
- مفاهيم الدراسة والأطروحات الأساسية .
- النظرية الموجهة للدراسة .
- الإطار المنهجي للدراسة .
- نتائج الدراسة الميدانية .
- النتائج العامة للدراسة ومناقشتها .

– المراجع .

– الملاحق .

(*) د. إيمان جابر شومان – أستاذ علم الاجتماع المساعد-كلية الآداب– جامعة كفر الشيخ

د. إيناس محمد غزال – أستاذ علم الاجتماع المساعد – كلية الآداب – جامعة المنوفية

الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية
في ظل هيمنة العولمة – دراسة ميدانية
على بعض موجهى اللغة العربية

مقدمة :

يعايش الإنسان العربي المعاصر بوجه عام عالمين متناقضين حاملاً في شخصيته ثقافتين متباعدتين يصعب التقريب بينهما ، ثقافتين غير متكافئتين ، ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة والانتماء والهوية الأصلية ، وأخرى عولمية تغريبية تسلب الأولى وتدفعها نحو معرفة فردية كوكبية مصطنعة ، وبين العالم الأول والعالم الثاني يقف الإنسان حائراً بل وعاجزاً عن الوصل بين ماضيه التراثي وبين معرفة الآخر المغتربة عنه فيصبح شأنه شأن غيره من دول الجنوب الفقير منفصماً في ذاته مغترباً في هويته وثقافته ولغته لا يعرف كيف يواجه تجليات العولمة ، وإشكالية الخصوصية والموروثات فيعيش في عالم من الوهم ونسق من الخيال يصنعه لذاته ، إما هرباً من واقعه أو عجزاً عن الفكاك منه فلا يجد مخرجاً إلا أن ينكص إلى ماضيه يتباكى عليه ومع ذلك قد يسعى للعصرنة المظهرية المصطنعة فيصبح ممسوخ الشخصية فاقد الهوية غير قادر حتى على التكيف مع الواقع أو التصالح مع الأنا أو التعايش الحر مع الآخر من أجل إعادة إنتاج الذات . [أنظر : أحمد مجدي حجازي (١٩٩٩) ، ص ١٢٣ ، ١٢٤] .

ولذلك تعتبر اللغة العربية الأصيلة من أهم مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب ، وهي قضية لا يمكن دراستها بمعزل عن البناء الاجتماعي أو مجمل السياق الحضاري أو الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والقيمية السائدة في أي مجتمع حيث تُعد اللغة أداة التعبير عن فكر الأمة وأنشطتها الاجتماعية وتشكل تشابهاً في التفكير بين المتحدثين بلغة واحدة ، ولذلك كانت اللغة مرآة تعكس خصائص الأمة وهويتها الثقافية . [أنظر : أحمد دهمان (٢٠٠٦) ، ص ١٥] .

كذلك لم تكن اللغة العربية وسيلة تخاطب يومي ، بل كانت صورة لحياة العرب الفكرية والعقلية التي مثلت مجدهم وثقافتهم وصورتهم ورسالتهم ... الخ ، وقد اكتسبت اللغة العربية مكانتها من غزارة كلماتها وتعدد أساليبها وقوة أدائها وسعة صدرها وقابليتها للنـ والزيادة والتطور والرقي . وتعتبر اللغة من أهم وسائل تحقيق الوحدة والتماسك فضلاً عن الانسجام الاجتماعي بين أبناء الأمة فهي بمثابة الروح والقلب في حياة الأمم والشعوب . [أنظر : أحمد بن محمد الضبيب (٢٠٠١) ، ص ٣٩] .

فعن طريق اللغة يتم التواصل بين الأجيال والحفاظ على التراث الثقافي للأمة، وعن طريق اللغة ينمو التعاطف والتقارب بين المتحدثين بلغة واحدة مما يؤدى إلى تعاظم الشعور القومي . ولكل هذه الأسباب تظل الأمة محتفظة بهويتها طالما حافظت على لغتها وثقافتها ، أما الأمم التي تصطنع لغة غيرها فإنها مع الزمن تذوب في كيان الأمة التي أخذت عنها ، وتفقد ذاتيتها بالتدريج ؛ فاللغة على حد تعبير الفيلسوف الألماني هيردر Herder " تمثل روح الشعب ولغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والفلسفة والدين ، وإن قلب الشعب ينبض في لغته وروح الشعب تكمن في لغة الآباء والأجداد " . [أنظر : السيد عبد العزيز البهواش (٢٠٠٠) ، ص ٢٧] .

ولقد زاد شرف اللغة العربية وخلودها ورسوخها نزول القرآن الكريم وتكريم الله عز وجل لها دون سائر اللغات الأخرى ؛ فأضاف إليها القرآن الكريم أبعاداً جديدة ومصطلحات مستحدثة ، وجعلها أوسع أفقاً وأغزر عطاءً وأقدر على استيعاب معطيات الحضارة ، كما منحها إظهار قدرتها في حمل الأفكار والمبادئ والنظريات السامية في الحياة ، وبفضل هذه المكانة العظيمة التي أوجدها القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية رمزاً للوحدة الاجتماعية والثقافية . [أنظر : حسين شحاتة (٢٠٠١) ، ص ١٠].

ولقد انتشرت اللغة العربية بسرعة فائقة في أعقاب الفتوحات الإسلامية وارتبط انتشارها في بادئ الأمر بانتشار الإسلام ، ولقد برهنت اللغة العربية منذ ذلك

الوقت بقدرتها الواسعة ومرونتها الذاتية على الانتقال بالعربية من لغة تواصل وتخاطب وخطابة وشعر إلى لغة تشريع وعلوم ، واستطاعت في القرنين الثاني والثالث ترجمة العلوم الإنسانية وفهمها وتمثلها والإضافة إليها ، وأصبحت بحق لغة العلم والحضارة التي تتطور بأساليبها الذاتية وقدراتها الإبداعية وإمكاناتها الاشتقاقية الواسعة ، والعوامل التي جعلت من العربية لغة العلوم والتعلم هي التي تمنحها القدرة على أن تكون لغة العلوم والتعلم في الجامعات العربية والإسلامية في عصرنا الراهن. [أنظر : خلاف خلف الشاذلي (٢٠٠٠) ، ص ١٠] .

وبذلك أصبحت اللغة العربية لغة متطورة تتوسع فيها الدائرة الدلالية للألفاظ ، وتكتسب الألفاظ من السعة الدلالية والمرونة اللفظية ما يجعلها قادرة على التعبير عن كل جديد في الحياة ، وكل إبداع مستحدث في العلم والحضارة وذلك عن طريق المعاني الدلالية الجديدة التي اكتسبتها ألفاظ العربية واستعمال الألفاظ في معان مختلفة ذات مصطلحات استطاعت العربية تمثلها والتعامل معها خلال فترة وجيزة جعلتها بعد قرن من الإسلام وسيلة نقل العلوم المختلفة ، وظهور طبقة من المترجمين يليها طبقة من المؤلفين الذين استفادوا من حركة الترجمة بالإضافة إلى علوم الحضارة والعلم ، وقد استوعبت اللغة العربية العلوم الإنسانية كلها حفظا ونقلاً ، ثم أضافت إليها إبداعاً وابتكاراً وأصبحت لغة العلوم حتى القرن السابع عشر وكان كل من أراد أن يكتب علماً يقرأه الناس لجأ إلى اللغة العربية ، فكتب وألف بها وظلت كتبهم في العلوم الطبيعية المراجع المعتمدة في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر ، وبذلك احتلت اللغة العربية مكان الصدارة بين لغات العالم المتمدين . [أنظر : باسم على خريسان (٢٠٠٠) ، ص ١٨ – ١٩] . إذ أصبحت اللغة العربية هي لغة العلم الدولية ولغة السياسة والتجارة الدولية وهو دور شبيه بدور اللغة الإنجليزية في الوقت الحالي واللغة الفرنسية في القرن الماضي . وظلت اللغة العربية محافظة على مكانتها الدولية حتى قامت أوروبا منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي بترجمة المؤلفات العربية في سائر فروع العلم والمعرفة إلى اللغة اللاتينية ، وظلت اللغة العربية محافظة على مكانتها القومية ومن ثم ظلت ركيزة أساسية للهوية الثقافية في العالم العربي . [أنظر : خالد عبيدات (٢٠٠٧) ، ص ٥] .

والقرون الوسطى التي مثلت عهود الظلام في أوروبا كانت منارات العلم عند العرب ، حتى كان لهم علم عربي تعهدوه قروناً طويلة بلغة قوية متينة ، ويمكننا أن نؤكد أن هذه اللغة كانت في ذلك التاريخ لغة العلم الوحيدة في العالم أجمع فيما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، ثم انضمت إليها اللاتينية بعد ذلك وأخذت عن العربية ، ولا تزال الألفاظ العربية المستعارة باقية إلى اليوم في اللاتينية ومن بعدها في بعض اللغات الأوروبية المعاصرة ؛ فأدت العربية رسالتها نحو العلم في الماضي ولا يعز عليها أن تؤديها اليوم وهي مهيأة لذلك تهيؤ اللغات العالمية الأخرى . [أنظر: حيدر إبراهيم على (١٩٩٦) ، ص ١٠] .

وفي هذا الصدد يؤكد " محيي الدين صابر " أن اللغة العربية أصبحت لعدة قرون في التاريخ الوسيط هي اللغة العالمية لغة الفكر والعلم والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، وتعايشت الثقافة العربية مع ثقافات الشعوب التي ارتبطت معها بالعقيدة ، ولم تحاول طمسها أو استلابها ولكنها تعاملت معها أخذاً وعطاءً فأغنتها واغتنت بها وقبلت دون تحيز أو تمييز من استطاع أن يضيف إلى قدرتها . [أنظر : محيي الدين صابر (١٩٨٧) ، ص ٣٠] .

وهكذا ظلت اللغة العربية محافظة على مكانتها الدولية عدة قرون ثم أخذت في الضعف والتدهور بعد أن خيم الركود على الحضارة العربية منذ عصر النهضة الأوروبية إلى اليوم ومع ذلك مازالت بعض مفردات اللغة العربية ظاهرة للعيان في اللغات الأوروبية المعاصرة . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ٩] .

ثم جاء المستعمر القديم والاستعمار الحديث فاستهدفا أهم خصائص الهوية الثقافية العربية ، ونعني بها أصالة الأمة وجوهرها المتمثل في اللغة العربية الأصيلة لأن المستعمر أدرك أن اللغة القومية تشد الإنسان العربي إلى قوميته وهويته وتربة وطنه وتربى فيه شخصيته القومية ، وهويته الثقافية ومشاعر العزة والانتماء والمواطنة ؛ فكان إحياء اللغات الميتة وتشجيع انتشار اللهجات المحلية وتعزيز استعمالها في الحياة العامة والرسمية ، واتهام العربية بالقصور والعجز ، وعدم القدرة

على مواكبة روح العصر الذي تسيطر عليه العولمة والغزو الثقافي ، وكذلك نشر المؤسسات التعليمية ذات الأهداف الغامضة وانتشار الفضائيات العربية والأجنبية التي تبث أكثر برامجها بالعامية المحلية ، بالإضافة إلى إفساد الذوق ومخاطبة الغرائز المناط ببعض الفضائيات العربية والأجنبية كل ذلك من مظاهر السياسة المناوئة إزاء اللغة العربية . [أنظر : أحمد على كنعان (٢٠٠٤)] .

لهذا ظل الاستقلال السياسي ناقصاً لأن أهم أركانه وهو التحرر من التبعية الفكرية والاقتصادية والثقافية مازال تحدياً خطيراً يواجه شعبنا العربي ، ويحاول أن يقتل في الإنسان العربي قضية الهوية الأصيلة والانتماء القومي والإحساس بالأصالة الحضارية والبعد الإنساني لحضارة أمته . [أنظر : سعد البازي (١٩٩٩) ، ص ٤].

لذلك كثر الحديث في إطار خطاب العولمة عن اللغة العربية الفصحى بعد أن برهن الانترنت وبما لا يدع مجالاً للشك أهميتها في كافة المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والترفيهية ، ولا يخلو الحديث من الإحساس بالتشاؤم بسبب اطّراد تكاثر التعبيرات التي توضح القلق على المصير السلبي الذي تتجه إليه الكثير من اللغات في العالم ؛ فهناك الفجوة اللغوية والانقراض اللغوي والحروب اللغوية والعنصرية اللغوية . وقد ازداد التشاؤم لدى البعض ليصف اللغة بأنها من ضمن موتى هذا العصر المعلوماتي ، وأنها ضحية من ضحاياه الأخرى التي تعتبر شديدة الصلة باللغة العربية كالهوية الثقافية والانتماء والسيادة والقيم الوطنية ، وفى هذا الصدد عبر " محمود عبد المنعم مراد " عن ذلك بقوله : إن تدهور اللغة العربية يعتبر مشكلة مزمنة ترتبط باستخدام الألفاظ الأجنبية في حياتنا ومدارسنا وصحفنا وتلفازنا وإذاعتنا ومشروعاتنا وإعلاناتنا التجارية ، وبمعنى آخر في كل مستوى من مستويات اللغة الفصحى المنطوقة والمكتوبة ويشمل ذلك استخدام اللغات الأجنبية على اللوحات واللافتات الإعلانية التي تعبر عن أسماء غربية ذات شخصية عربية ، كما أكد الكاتب على أن ذلك يشكل نكسة للغة القومية ومن ثم لمشاعر القومية العربية [أنظر : المرجع السابق ، ص ٥] . كما أوضحت مديحة دوس عن ذلك بأن اللغة العربية الأصيلة يتم اغتصابها في الإعلانات التجارية وعلى واجهات المحلات

وفى الشوارع والمدارس والجامعات وهى ظاهرة لا ينبغي الاستخفاف بها لأن ذلك يعد من وجهة نظرها مؤشراً معبراً عن أزمة الهوية التي أصابت مجتمعنا المصري اليوم . [أنظر : سامي محمد نصار (٢٠٠٥) ، ص ١٣] .

ولذلك فقد أصبح واضحاً للعيان أن العالم اليوم أمام مصير لغوى مجهول وعليه أن يختار بين اثنين إما أن يحافظ على التعدد اللغوي رغم ما في ذلك من عدم يسر في التواصل وفى تبادل المعرفة والمعلومات ، وإما أن يصبح لغة واحدة وهنا تتشكل الطامة الكبرى . والعالم العربي بدوره ليس بعيداً عن الوقوف أمام نفس المصير ، فإما أن تصبح اللغة العربية وسيلة للانخراط في كون المعلومات وإما أن تكون في حالة تقاعس مما يؤدى إلى اتساع الهوة بينه وبين اللغات المتطورة المنتشرة الحية وفى مقدمتها اللغة الإنجليزية من حيث معالجة اللغة حاسوبياً واستخدامها وظيفياً وتعليمها وتعلمها .

ومن الملاحظ في هذا الصدد أن عشر لغات تندثر سنوياً في هذا العالم من بين ستة آلاف لغة نصفها على الأقل يواجه الخطر ، إذ اندثر حوالي ٤،٥ % من مجموعها خلال الخمسة قرون الماضية ، ومن المعروف أن اللغات المزدهرة في العالم والأكثر انتشاراً هي اللغات الرسمية في منظمة الأمم المتحدة وهى الإنجليزية والفرنسية والأسبانية والصينية والروسية ، وأضيفت إليها اللغة العربية عام ١٩٧٣ ، وهناك عشر لغات تعتبر اللغة الأم لنصف سكان العالم . [أنظر : المرجع السابق ، ص ١٤] .

إن اندثار لغة ما يلازمه اندثار الهوية الثقافية القومية لتلك اللغة ، كما أن إحياءها يلازمه إحياء تلك الهوية كما حدث بالنسبة للغة العبرية . [أنظر : عباس محجوب (١٩٨٦) ، ص ١١] .

إن الجانب الأكبر من مصادر المعرفة الإنسانية الحديثة في الأدب والفكر والعلم لم يترجم حتى الآن للغة العربية ، بل إن الجانب الأكبر من التراث العربي نفسه مازال مجهولاً لأن كنوز المخطوطات العربية مازالت مبعثرة في مكتبات العالم لم

تمتد إليها الأيدي بالتصنيف والتحقيق والدراسة . إن المسافة الفاصلة بين الفصحى واللهجات الدارجة تتسع كل يوم ، والجهود التي بذلت في التصدي لهذه الأوضاع والتنبيه لخطورتها ومنها الندوات والمؤتمرات التي عقدتها الجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ووزارة التعليم العالي في مصر وجامعة القاهرة هي جهود محدودة متناثرة لا يجمعها خطة ولا ينظمها أو ينشطها مشروع قومي . [أنظر : السيد سلامة الخميس (٢٠٠٤)] .

فالأخطار التي تتعرض لها هويتنا الثقافية من خلال لغتنا العربية الأصيلة تتعرض لها الشعوب العربية بوجه عام ومصر بوجه خاص والمهددة كل منها على حدة بفقدان خصوصياتها القومية ، وقدرتها على الدفاع عن استقلالها الفكري وممارسة إبداعاتها الذاتية والمهددة كلها من ناحية أخرى بفقدان رابطة من أهم الروابط التي تجمع بينها الآن ، وتساعدها على أن تنمى علاقاتها الأخوية وأن تتضامن وتتكامل فيما بينها وتكون عضواً إيجابياً في المجتمع الدولى . [أنظر : السيد عبد العزيز البهواش ، مرجع سابق ، ص ٢٧] .

وأخيراً لا يشك أحد في الحقيقة القائلة بأن اللغة في كل أمة هي قاعدة الوعي والإحساس الذاتي بكيانها لأنها المُعبّر الأصيل عن الهوية القومية والثقافية للأمة ، وهى منطلق البحث في أصالة اللغة وغاياتها فالتطور الثقافي المستند إلى كم هائل مما وصلت إليه الأمة في معارج الحضارة لا يمكن أن يحدث إلا إذا أعدنا للغة أصالتها ودورها ، وبمعنى آخر إن سيادة اللغة العربية وانتشارها الصحيح في الحياة والمجتمع أظهر قضايا الفكر وجوهر قضية الأصالة والتقليد .

لذلك فحماية اللغة العربية الأصيلة من خلال التحدث بها وتجديدها كلغة أمر كفيل بحفظها من مخاطر الغزو الثقافي وبالتالي من التهديد بالترهل والاندثار .

إشكالية الدراسة :

مع تزايد قوة الدفع التي سارت بها سياسات العولمة تعاظمت الكتابات خلال السنوات القليلة الماضية عن الآثار الثقافية للعولمة والثقافة العالمية العابرة للحدود ، وتراوحت هذه الكتابات ما بين الانزعاج من ظاهرة التغلغل ووجوب الحذر منها ، وبين الانفتاح عليها والتعامل معها ، وفى ذلك اختلف الباحثون وتضاربت الآراء حول تأثير العولمة في الهوية الثقافية وخاصة في دول العالم الثالث بين من يرى في العولمة إثراءً للثقافة المحلية ومن ثم التجرد من الهوية لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى هوية ثقافية عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعاً تحرر من التعصب لأيديولوجيا معينة والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار واللغات من دون أي تعصب أو تشنج تحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين أو لغة بعينها مبررين ذلك بالاعتقاد بأن هذه الهوية الثقافية بحكم ميراثها التاريخي والحضاري قادرة على استيعاب وتطويع كل ما هو وافد أو غريب ، وبين من يرى عكس ذلك مؤكداً على مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، تلك العولمة التي لا تطمس الهوية فقط بل تؤكدها ، حيث أن الثقافة هي المُعبّر الأصيل عن الهوية التاريخية لأي أمة من الأمم . [أنظر : أحمد مجدي حجازي ، مرجع سابق ، ص ١٢٣] .

ولذلك تواجه مجتمعاتنا اليوم وأكثر من أي وقت مضى العديد من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيداً عن أداء دورها في العطاء الثقافي والقيمي ، وتحول دون تحقيق رسالتها الخالدة ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية والعربية ، وتزداد هذه التحديات في ظل الهيمنة الأمريكية والقطب الواحد الذي ما انفك يحاول النيل من هويتها الثقافية من خلال لغتنا العربية الأصيلة في ظل مفهوم العولمة على جميع مظاهرها ، وتشتد الحملات وتعلو الأصوات بكل صلف لتغيير المناهج العربية ، وقد أخذت تلك الظاهرة أشكالاً صريحة متغطرسة في تقرير الكونجرس وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ تبعث القوة . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ١١] .

ويتركز التحدي في مواجهة الأمة العربية بالهجوم الشرس على تعليمها بهدف زعزعة الهوية الثقافية ، وطمس اللغة العربية ومحاولة زلزلة أركانها واقتلاعها من جذورها وذلك في محاولات تغيير كيانها وتغييب فلسفتها وتحريف أهدافها وتهجين طلابها .

والمتأمل في واقعنا التربوي يلاحظ أن التحديات التي تواجه التعليم بكل مستوياته الذي تريده مجتمعاتنا لأبنائها في ظل تداعيات العولمة راجعة إلى نوعين من التحديات خارجية وداخلية ؛ فالخارجية هي ما تتمثل في الضغوط والتداخلات الخارجية التي تحاول طمس الهوية الثقافية وتذويبها في ثقافة الآخر وتشويه الشخصية العربية بوصفها بالإرهاب والتطرف تارة ، ثم بالجمود والتخلف تارة أخرى ، [أنظر : سليمان نجم خلف (١٩٩٨) ، ص ٢٦] . إضافة إلى العديد من المؤتمرات الخاصة بحقوق الإنسان وبموافقة الأمم المتحدة لهز منظومة القيم والأخلاق واللغة العربية الأصيلة ، ومنها ما يتمثل في التحديات الداخلية التي تتعلق بالعملية التعليمية نفسها ومن بينها اللغة العربية الفصحى ذاتها ، تلك اللغة التي يراها البعض بأنها أصبحت عجوزاً عقيمة مترهلة لا تفي بحاجة المنتمى إلى المجتمعات العربية للتواصل في هذا العصر الرقمي المتطور الذي تراكمت فيه المعارف والمعلومات والتقنية ، وتطورت بشكل استوجب معه ضرورة تطور اللغة لتواكب متطلبات العصر الراهن ، وقد دعا التربويون إلى دق نواقيس الخطر والدعوة إلى مؤتمرات تربوية أهلية وعامة لمناقشة هذا الاختراق الثقافى .

فمن الملاحظ أن هناك تغييراً ثقافياً تعرض له المجتمع المصري بصفة خاصة ونتج عنه تغيراً في نسق القيم وفى الهوية مما أدى إلى انتشار العديد من السلبيات من بينها تدهور اللغة العربية وتدنى المستوى اللغوي حتى على مستوى الممارسات السلوكية التي تسود بين الناس ؛ مما انعكس على ضعف الانتماء للمجتمع ، وبعبارة أخرى أصبح هناك فصل بين الجانب اللفظي والجانب العملي ، وقد خلق هذا التناقض نوع من الصراع نتج عنه ازدواجية ثقافية ترتب عليها تناقض داخل الفرد وداخل المجتمع على حد سواء ، وتناقض آخر بين القول والعمل حيث أن القول قد يرتكز

على قيم جديدة مثل ثقافة الاستهلاك أو الغزو الثقافي ، أما العمل فيرتكز على قيم قديمة مثل التمسك بالموروثات والأصالة وفى مقدمتها الحفاظ على اللغة العربية الأصيلة وهذا ما يراه البعض صراعاً بين القديم والحديث . [أنظر : محمد رشيد ناصر ذوق (٢٠٠٦) ، ص ١٣] .

ولذلك يشير الواقع الراهن في المجتمعات العربية عامة وفى مجتمعنا المصري خاصة إلى تراجع اللغة العربية في البيت والمدرسة والجامعة والشارع وفى كافة المؤسسات الرسمية ، وإذا استمر الحال على ما هو عليه فقد تصل اللغة العربية إلى وضع يستحيل معه إنقاذها مما سيحرم العرب بوجه عام من لغة مشتركة تعزز هويتهم وثقافتهم وانتماءهم وقيمهم ، كما سيتسبب في صور جديدة من التمزق والخسارة لن تكون محصورة في البلاد العربية وحدها فاللغة – كما سبق أن أشرنا – هي إحدى لغات الحضارة الإنسانية ، وفوق كل ذلك فهي لغة قومية تتحدث بها ٢٢ دولة عربية ، وهى بذلك إحدى المميزات الكبرى التي يتمتع بها العالم العربي ، وقد لا يكون لها نظير في لغات أخرى كثيرة ، والتي تجعل الوطن العربي من الخليج إلى المحيط يستخدم أداة موحدة للتعبير وللتفكير ولصياغة الشعور وهو ما يجعل المجال ممهداً بشكل كبير للتواصل بين هذه الشعوب ، هذا بالإضافة إلى أن هذه اللغة لعبت دوراً مشهوداً في تعزيز الحوار وتحقيق التواصل بين الثقافات والحضارات ، وهى مؤهلة لأن تواصل القيام بهذا الدور الذي نحتاج إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى في ظل التغييرات العالمية . [أنظر : محمد إبراهيم مجاهد (٢٠٠١) ، ص ١٧] .

وجدير بالذكر أن المدرسة حاملة رسالة الأمة وحامية حضارتها وصانعة أجيالها وأمينة على هذه الأجيال ومحافظة على لغتها ؛ فهي أداة الأمة المنظمة لتحقيق رسالتها وأهدافها وثقافتها وقيمها بما تصنعه وما تعده من أجيال ؛ فإما أن تكون المدرسة قلعة الأمة وحصنها الحصين ، وإما أن تكون الثغر الذي يؤتى بالأمة من جذورها مما يحتم على مجتمعاتنا أن تعضد من دور المدرسة وان تعمل على تقوية جذورها وأسسها لكي تقف على أرض راسخة ثابتة من القيم والمثل واللغة الموحدة لأداء رسالتها في إعداد الأجيال المستقبلية المبدعة . [أنظر : سيد عويس (١٩٨٥)، ص ١٤] .

وإذا كانت اللغة هي الهوية التي ينبغي أن نعتز بها ، أو هي الإطار الذي يمثله والوعاء الذي يشكله فكيف يمكن لأي متغير سواء كان داخلياً أم خارجياً أن ينال من هذا الإطار وخاصة إذا كانت هذه اللغة من أكثر اللغات عمقاً تاريخياً ، فضلاً عن ارتباطها بأكثر الأديان انتشاراً والتي ينبغي تعزيزها وإثراءها وحمايتها من الغزو الثقافي والفكري وذلك من خلال مختلف مؤسسات المجتمع المدني وخاصة وسائل الإعلام التي تمثل أحد أهم التحديات التي تواجه مرحلة الطفولة في عصرنا الحالي ؛ فالطفل يتعرض إلى كم هائل من المعلومات التي تعمل على تشويه فكرة وتشكيل التحدي الأكبر بالنسبة له ، مما ينبغي التأكيد على ضرورة تنبيه الطفل إلى هذا الخطر الداهم من أجل محاولة بناء شخصيته وتعزيز هويته الثقافية من خلال الاهتمام بلغته العربية الأم حتى يصل إلى مرحلة من النضوج الفكري .

ولذلك فالاهتمام باللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية الفصحى أصبح أمراً ملحوظاً بشدة في الفترة الأخيرة وخاصة من جانب الأسر التي تنتمي إلى المستوى الاجتماعي الاقتصادي المرتفع أو الطبقات الراقية التي ترسل أبناءها وبناتها إلى المدارس الأجنبية الخاصة للتعليم فينشأ الطفل ولا يكاد يعرف من لغة وطنه إلا بعض الكلمات من العامية الدارجة فقد أكدت بعض الدراسات أن هناك ٢٥٠ مدرسة أجنبية تعلم علومها ومناهجها في غيبة تامة عن اللغة العربية كما أن كثيراً من المدارس الخاصة اللغة العربية فيها ليست بالقدر المتوازن مع اللغات الأجنبية مما يؤدى إلى خروج جيل لا ينتمي إلى اللغة العربية بل ينتمي إلى اللغة التي تعلمها . [أنظر : محمد إبراهيم مجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٨] .

لذلك فاستهداف اللغة العربية من خلال المناهج التعليمية يعد البوابة الأخطر والتربة المقصودة التي تنبت فيها جذور المؤامرة على دول العالم الثالث ومنها مصر ، وهذا يشكل قدراً من التهديد ما لم نتنبه له وما لم نتخذ من الخطوات ما يحول دون استمرار التدهور الملموس في مدى تعلم أولادنا وبناتنا أصول اللغة العربية السليمة ومدى حسن استخدامهم لها والحفاظ عليها حتى يظلوا فخورين بها معتزين بهويتهم الثقافية المميزة . [أنظر : مصطفى يوسف منصور (٢٠٠٧)] .

ولذلك فإن أخطر التحديات هو ما قد تتعرض له المكونات الأساسية للهوية الثقافية المتمثلة في اللغة العربية ، وقطع الصلة بين الأبناء وتراث أمتهم وتاريخها العريق ، ولاشك أن الحفاظ على الهوية الثقافية والخصوصية الحضارية للأمة العربية والاعتزاز باللغة العربية الأصيلة في ظل المتغيرات العالمية يعد من المهام الأساسية التي ينبغي أن تقوم بها مؤسسات التنشئة الاجتماعية ، وقد دفع كل ذلك بإلحاح شديد إلى تناول هذه القضية بالدراسة والتحليل ، بالإضافة إلى إحساس الباحث السوسيولوجي الذي يعمل في حقل التدريس بأبعاد هذه الإشكالية ، ولذلك فإن مشكلة الدراسة تتبلور في التساؤل التالي : إلى أي مدى تؤثر عملية العولمة على هويتنا الثقافية ومن ثم على تشكيل مأزق في اللغة العربية الأصيلة التي تسود مجتمعنا المصري اليوم من خلال الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية على حساب تعلم اللغة العربية وإتقانها ؟

الدراسات السابقة :

لفهم طبيعة الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية في ظل تداعيات العولمة في المجتمع المصري ؛ فسوف نستعرض بعض الدراسات السابقة التي تناولت هذه القضية إما بشكل نظري بحت أو بطريقة إمبيريقية أو بالجمع بين الطريقتين ، وعلى كافة مستوى المجتمعات المحلية ، العربية وكذلك الغربية ، حيث تتسم تلك الدراسات التي حاولت الربط بين الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية بصورة مباشرة بالندرة مما يجعلنا نتعرض إلى بعض الدراسات المتاحة والتي لها علاقة بمجال الدراسة ليتضح أهمية الموضوع الذي ندرسه وطبيعة المنهج الذي نعتمد عليه .

أ – الدراسات العربية :

ومعظمها يتعلق بقضية اللغة العربية والتعريب في التعليم وخاصة الجامعي منه ومن بينها ما يلي :

١ – دراسة يعقوب أبو حلو وآخرون (١٩٨٤) بعنوان : تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم الجامعي .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تقويم المرحلة الأولى في قضية تعريب التعليم الجامعي وخاصة في المجال العلمي منه ، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن الانخفاض الملحوظ في نسبة رسوب الطلاب من ٣٠ % عندما كان التدريس باللغة الإنجليزية إلى ٣ % فقط عندما درس باللغة العربية ، كما أكد الطلاب أنه عندما عُربّت نفس المادة باللغة العربية فإنها وفرت كثيراً من الوقت والجهد والإمكانات التي كانوا يبذلونها عندما كانت باللغة الإنجليزية ، كما قاموا بتدريسها واستيعابها بطريقة أوسع وأعمق وأدق عن دراستها قبل التعريب .

٢ – دراسة زهير أحمد السباعي (١٩٩٥) بعنوان : تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية .

تعد هذه الدراسة من الدراسات التجريبية التي حاول فيها الباحث عقد مقارنات بين نتائج تعليم المقرر نفسه باللغة العربية وكذلك باللغة الإنجليزية ، وقد كشفت النتائج أن درجة استيعاب المجموعة الأولى التي درست المقرر باللغة العربية كانت أفضل بصورة كبيرة من المجموعة الثانية التي درست نفس المقرر باللغة الإنجليزية .

٣ – دراسة رجاء محمود أبو بكر (١٩٩٧) بعنوان : تعريب الكليات العلمية في جامعات الدول العربية .

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على كيفية تعريب الكليات العلمية في جامعات الدول العربية ، من خلال إجراء مقارنة بين الجامعات السورية والجامعات السودانية ، وقد اعتمدت الدراسة على استمارة الاستبيان على عينة مكونة من (٢٠٨)

مفردة من الطلاب السودانيين و (١٠٢٣) من الطلاب السوريين ، كما اعتمدت الدراسة على إجراء مقابلات مع (٥٧) أستاذاً سودانياً ، و (٦٢) أستاذاً سورياً .

وقد أوضحت نتائج الدراسة ما يلي :

أ - تأييد التعريب من قبل الأساتذة السوريين وذلك بنسبة ١٠٠ % ، أما الأساتذة السودانيين فقد أكدوا على ضرورة التعريب بنسبة ٧٥،٣ % .

ب - تمثلت أسباب معارضة قضية التعريب والتي أسفرت النتائج عن أنها لا ترجع إلى عدم كفاءة اللغة العربية ولا صعوبة التدريس بها وإنما ترجع إلى عدم وجود المراجع العربية وذلك بنسبة ٩١،٣ % ، وعدم وجود الكتاب المدرسي المعرّب ٤٩،١ % ، وعدم توافر المصطلح العربي ٢٤،٦ % .

حـ - وبالنسبة للغة التي يفضل الطالب التدريس بها فقد احتلت اللغة الإنجليزية المقدمة حيث مثلت ١٠٠ % بالنسبة للطلاب السوريين ، بينما بلغت ٧٠،١ % بالنسبة للطلاب السودانيين .

ويرجع ذلك الانخفاض في تأييد التدريس باللغة العربية إلى أن معظم الطلاب درسوا في المدارس الأجنبية ومعظمهم من أبناء الجنوب لذلك فهم يفضلون اللغة الإنجليزية التي درسوا بها عن اللغة العربية ، وقد انعكست أيضاً وجهات نظر الأساتذة على آراء الطلاب الذين يفضلون الدراسة باللغة الإنجليزية لأنها تعد من وجهة نظرهم من أهم وسائل الانفتاح على العالم الخارجي في ظل تداعيات العولمة .

٤ - دراسة المهندس وبكرى (١٩٩٨) بعنوان : الترجمة في جامعة الملك سعود .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على قضية الترجمة في العملية التعليمية بالجامعة في المجتمع السعودي ، حيث قام الباحثان باستقصاء آراء عينتين من الأساتذة والطلاب من جميع الكليات بجامعة الملك سعود بشان قضية الترجمة ، واستخدام اللغة

العربية في العملية التعليمية ، وقد أسفرت النتائج عن أن ٦٦ % من الطلاب يفضلون استخدام اللغة العربية ، إلى جانب اللغة الإنجليزية في إلقاء المحاضرات ، بينما يفضل ٥٧ % منهم استخدام اللغة العربية في الكتب المقروءة ، ويفضل ٥٣ % من الطلاب استخدامها في كتابة المشاريع ، في مقابل ذلك فضّل ٢٢ % منهم استخدام اللغة الإنجليزية في إلقاء المحاضرات ، ٣٢ % يفضلون الإنجليزية في الكتب المقروءة ، ٣٣ % في كتابة المشاريع .

٥ – دراسة نوفل الأحمد (١٩٩٩) بعنوان : تعريب التدريس في الجامعات .

تهدف الدراسة إلى التعرف على تجربة التعريب في الجامعات الليبية ، وقد اعتمدت الدراسة على استمارة الاستبيان على عينة عشوائية من الطلاب قوامها (١٠٠) مفردة من أجل التعرف على آرائهم بصدد قضية التعريب في تدريس المواد .

وقد أظهرت النتائج أن ٧٠ % من الطلاب يطالبون بتعميق هذه الخطوة القومية الخاصة بالتعريب والاستمرار فيها ، كما طالب ٣٣ % من الطلاب بتوافر المراجع العلمية المعربة ، بينما ٣ % فقط لا يحبذون التعريب ويطالبون بالرجوع إلى اللغة الإنجليزية .

٦ – دراسة أميرة هويدي (١٩٩٩) بعنوان : من اليمين إلى اليسار .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على حقيقة جوهرية تدور بين الخبراء الذين يؤكدون أن إتقان اللغة العربية قد أخذ في التدهور ، فهل نظام التعليم الخاص في مصر اليوم هو المسئول عن هذا التدهور ؟

تؤكد الدراسة أن هناك إجماع حول نوعية وجودة تعليم اللغة العربية في مصر فقد بدأ في التدهور والانهيار في المدارس الحكومية والخاصة على حد سواء ، كما توضح الدراسة أن ٩٠ % من خريجي الشهادات الثانوية البريطانية لا يكادون يعرفون اللغة العربية حتى أن بعضهم يفتخر بحقيقة أن عدم معرفتهم باللغة العربية يعكس التربية الغربية الحديثة التي حظوا بالتمتع بها حيث ينظر إلى اللغة الإنجليزية اليوم على أنها لغة العولمة والحداثة وهى الطريق والسبيل الأمثل لتقدم المجتمعات .

٧ - دراسة فايزة حسن (١٩٩٩) بعنوان : الدعوة إلى اللغة العربية .

تهدف هذه الدراسة إلى الدعوة إلى اللغة العربية الأصيلة والتمسك بها ، بالرغم من كثرة المؤيدين للثقافة الغربية في مجتمعنا المصري ، وقد أوضحت الدراسة كيف أن المواطن بدور حصد منه للحصول على حياة أفضل ينظر للحياة من منظور غربي ، وأن المواطن المصري دائماً يحاول تقليد كل ما هو أجنبي اعتقاداً منه أن الغربي أفضل منه في الأمانة والإتقان ، حتى على مستوى السلع الاستهلاكية فإن الاسم الأجنبي لأي سلعة يضفى عليها نوعاً من الثقة والجودة ، وقد أوضحت الباحثة أن هذا التحيز والميل للغرب ليس موقفاً سائداً بين أفراد الصفوة الفكرية والعلمية في مصر وهم الذين طالبوا ولا يزالون يطالبون بتعريب طرق حياتنا حيث أنهم ينتقدون الثورة التقنية ذات التوجهات الغربية ، كما أنهم يطالبون بالارتقاء بتدريس اللغة العربية حتى يصبح الطلاب أكثر ارتباطاً بأمتهم وتاريخهم وثقافتهم ، وأنهم يحزنون لوجود مدارس اللغات الأجنبية التي يتعرض فيها الأطفال لثقافة أجنبية غربية ممسوخة وهو الشيء الذي يضر بثقافتهم العربية الأصيلة مما يدفعهم في النهاية إلى أن يكونوا غرباء داخل أوطانهم .

- دراسات تركز على قضية الهوية في ظل عصر العولمة .

٨ - دراسة حيدر إبراهيم (١٩٩٩) بعنوان : العولمة وجدل الهوية الثقافية .

تهدف هذه الدراسة التتبعية إلى تتبع ورصد طوفان العولمة ، أو وصف تاريخ هذه الظاهرة وانتشارها ، كما تهتم الدراسة بتناول جوانب مختلفة في ظاهرة العولمة ترى أنها الأقل حظاً في البحث والتحليل وهى الجانب الثقافي وما يتبعه من قضايا مثل الهوية ، الدولة القومية ، الأصولية ، صراع أو حوار الثقافات وعالمية الثقافة ، بالإضافة إلى اهتمام الدراسة ببحث العلاقة المعقدة بين العولمة وواقع الثقافات المحلية والإقليمية ، وهنا يثير الباحث تساؤلاً رئيسياً مؤداه : ثقافة العولمة أم عولمة الثقافة ؟ أو بمعنى أدق هل سوف تشكل العولمة ثقافة جديدة خاصة بها ؟

وقد أكدت الدراسة على بعض النتائج أهمها أن العلاقة الجدلية بين العولمة والهوية الثقافية لا تقوم على التناقض وبالتالي سيطرة وهيمنة ثقافة واحدة قوية على العالم ؛ فالعولمة ليست مشروعاً غربياً وإنما هي ظاهرة كاسحة فعلاً لا يمكن وقفها ، ولكن يمكن دمجها أو تكييفها أو تبيئتها أي جعلها مناسبة مع البيئة الثقافية الجديدة .

٩ – دراسة أحمد مجدي حجازي (١٩٩٩) بعنوان : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية – رؤية نقدية من العالم الثالث .

تسعى هذه الدراسة النظرية إلى طرح مجموعة من القضايا والتساؤلات التي تتعلق بماهية العولمة ، وأهدافها المعلنة والخفية ، ثم تحليل آلياتها المتعددة وموقف الدول الفقيرة منها .

وقد خلصت الدراسة في النهاية إلى أن العولمة ما هي إلا واقع لابد من الاعتراف بوجوده مع بزوغ تكوين سمات شخصية جديدة تحمل في طياتها تناقضات ثقافية في ظل متغيرات عصرية مفروضة على الإنسان العربي في الوقت الراهن ؛ فالاغتراب والفردية والمادية والاستهلاك الترفي هي سمات سائدة في مجتمعاتنا العربية حيث تحولت الثقافة العربية إلى ثقافة من نوع جديد ، ربما تقترب من المفهوم الذي قدمه كارل بولانى K.Polani في كتابة المعنون : التحول الكبير بحضارة السوق حيث يصبح كل شيء خاضع لشروط ولنظام السوق حتى روح الإنسان نفسه ، غير أن ذلك كله مرهون بمدى قدرة الإنسان العربي – ككتلة تاريخية متحركة – على مواجهة هذا التحدي .

١٠ – أحمد على كنعان (٢٠٠١) بعنوان : دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على التحديات المعيقة للتربية العربية وكيفية مواجهتها مثل الاستلاب الثقافي وهيمنة القطب الواحد ، مع بيان التصدي لهذه التحديات من خلال بعض المقترحات منها تعزيز الهوية الحضارية والانتماء القومي .

١١ – السيد سلامة الخميس (٢٠٠١) بعنوان : التجديد في فلسفة التربية العربية لمواجهة تحديات العولمة .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على كيفية تفعيل التربية العربية لفلسفتها وأهدافها لتواجه تحديات العولمة ، وقد أظهرت النتائج ضرورة تحقيق التربية لعدد من الغايات مثل إكساب المعرفة ، وتنمية الذات ، وضرورة إعداد إنسان العصر لمواجهة هذه التحديات ومطالب الحياة .

١٢ – دراسة محمد إبراهيم مجاهد (٢٠٠١) بعنوان : بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها .

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة التعرف على تطور ونمو اللغة العربية في القرن العشرين ، حيث أكد الباحث أن اللغة العربية يتحدثها اليوم أكثر من ٢٥٠ مليون نسمة ، وهى اللغة الوحيدة من بين اللغات السامية التي تحملت توسعاً مستمراً منذ حوالي ثلاث ألفيات تقريباً ، وكانت المائة وخمسون عاماً الماضية هي أكثر السنوات الفاصلة في تاريخ تطور اللغة العربية ؛ كما أوضحت الدراسة أن تاريخ اللغة العربية في القرن العشرين مرتبط بشدة بتاريخ المجتمعات العربية ؛ فالكثافة السكانية والهجرات الكبيرة من الريف إلى الحضر وتأثير مختلف وسائل الإعلام وتأثير الحضارة الغربية كلها عوامل أحدثت تفاعلات هائلة بين الناس الذين كانوا يعيشون منعزلين عن بعضهم البعض ، كما أحدثت هذه العوامل تغييرات هائلة سوف تستمر تأثيراتها على اللغة العربية لفترة طويلة .

١٣ – دراسة نادين شاهين (٢٠٠٣) بعنوان : أزمة الهوية – جذور شرقية في ثوب غربي .

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الإجابة على تساؤل رئيسي مؤداه : ما هي ملامح الهوية العربية الجديدة ؟

أكدت الباحثة في هذه الدراسة على ظهور جيل جديد هجين من السكان له

هوية دولية معظمها غربية ، ولا يزال يحتفظ ببعض البقايا العربية ، وأوضحت الدراسة أيضاً أن الهوية العربية تفتقد تدريجياً وسط هذه الحياة سريعة التغير التي نعيشها اليوم ، كما تؤكد على أن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أدت إلى الانفصال عن ماضينا وتراثنا ، فنجد اليوم العديد من الناس يعتبرون اللغة العربية الأصيلة غير قادرة على تجسيد التكنولوجيا الحديثة أو طرق الحياة المعاصرة .

١٤ – دراسة ريما سعد الجرف (٢٠٠٤) بعنوان : اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اتجاهات طلاب الجامعة نحو تعليم وتعلم اللغة العربية ، وكذلك التعرف على آراء الطلاب في مدى صلاحية اللغة العربية للتعليم الجامعي وتحديد أولويات الإصلاحات التربوية اللازم إجراؤها في ضوء آراء الطلاب إزاء ذلك .

طبقت الدراسة على عينة عشوائية مكونة من (٢٧٢) من طلاب كليات الطب والصيدلة والهندسة والعلوم والحاسب الآلي بالجامعة الأردنية في مختلف المراحل (بكالوريوس ودراسات عليا) ، وعينة عشوائية مكونة من (٤٧٠) من الطالبات في المستويات من الأول وحتى الثامن بكلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود ، كما تكونت عينة الدراسة من عشرة من الآباء والأمهات من الأطباء وأعضاء هيئة التدريس الذين يحملون درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ويدرس أبناءهم في مدارس دولية .

استخدمت الباحثة أداة المقابلة الشخصية ، وكذلك استمارة الاستبيان ، وقد أوضحت النتائج أن ٤٥ % من طلاب الجامعتين يرغبون في التحاق أبنائهم في مدارس دولية تعلمهم جميع المقررات باللغة الإنجليزية ، وقد اعتقد ٩٦ % من طلاب الكليات العلمية في الجامعة الأردنية ، وكذلك ٨٢ % من طالبات كلية اللغات في الجامعة السعودية أن اللغة العربية لا تصلح إلا للعلوم الدينية والتخصصات الأدبية فقط مثل التاريخ والأدب العربي والتربية بينما اللغة الإنجليزية هي اللغة التي تصلح

لتدريس الطب والهندسة والحاسب وغيرها ، كما أوضحت نتائج الدراسة من خلال استجابات الطلاب في الجامعتين الحرص الشديد على تعلم اللغة الإنجليزية وضرورة تعليمها لأبنائهم ونظرة الإجلال والانبهار بهذه اللغة في مقابل النظرة الدونية للغة العربية والشعور نحوها بالعجز والحيلة .

١٥ – دراسة إدوارد سعيد (٢٠٠٤) بعنوان : كيف نحيا باللغة العربية ؟

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن تساؤلات رئيسية مؤداها : كيف نعيش باللغة العربية الأصيلة ؟ وكيف ينظر الغرب وفى مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية للغة العربية نظرة احترام ؟

أكدت الدراسة على أن الغرب ينظر إلى اللغة العربية على أنها لغة مثيرة للجدل ومخيفة ؛ فهي لغة معبرة عندهم عن العنف وسفك الدماء وربما يرجع ذلك إلى نظرة الإعلام الأمريكي لكل ما هو عربي ، كما أوضحت الدراسة أن لهجة دول المشرق العربي تختلف عن لهجة دول المغرب العربي .

وقد أكد الباحث في دراسته على أن اللغة العربية الكلاسيكية الحديثة هي نتاج لعملية أوسع لتحديث اللغة والتي بدأت خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر على يد مجموعة من المفكرين بمصر وسوريا ولبنان وفلسطين ، وقد وضع هؤلاء المفكرين على عاتقهم مهمة إدخال اللغة العربية كلغة في العالم الحديث عن طريق تعديل وتبسيط تراكيبها من خلال عملية التعريب ، بالإضافة إلى التأكيد على حقيقة جوهرية وهى أنه إذا كانت اللغة العربية تتميز بصعوبة قواعدها النحوية إلا أنها هي اللغة الوحيدة التي تمتلك مترادفات لا مثيل لها فاللفظ الواحد يمكن تشكيله وصياغته من خلال عدة مشتقات .

١٦ – دراسة مرزوق بن حنيثان بن تنباك (٢٠٠٥) بعنوان : اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين في المؤسسات التعليمية السعودية – الواقع والتحديات واستشراف المستقبل .

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على واقع اللغة العربية في مجتمعاتنا وخاصة

في المملكة العربية السعودية ، وقد أكدت على أن طبيعة اللغة أي لغة وطبيعة الحياة توجب استمرار الرعاية الدائمة والمتابعة المستمرة حتى لا تتجاوز الأشياء طبيعتها ، ولا تترك الأحداث على سجيتها ، كما أوضحت الدراسة الدور الذي ينبغي أن تؤديه المؤسسات التعليمية تجاه توجيه النشء تلك المؤسسات التي ينبغي أن تكون فاعلة ومؤثرة ، كما ينبغي عليها أن تطور مناهجها الثقافية الواعية .

ب – الدراسات الأجنبية :

تُبنى نظريات العولمة على اتجاهين مختلفين أحدهما يبدأ من كارل ماركس K.Marx ومدرسته وحتى دانيال بل D. Bell حيث يرى هذا الاتجاه أن النمو والتغييرات الاقتصادية تؤدى حتماً إلى تغييرات ثقافية جذرية ، بينما يرى الاتجاه الآخر والذي يبدأ من ماكس فيبر M. Weber وحتى انجلهارت Inglehart وصمويل هنتنجتون S. Huntington أن القيم الثقافية مازال لها تأثير واضح في تشكيل المجتمعات ومن أشهرها دراسات هنتنجتون في أعوام (١٩٩٣-١٩٩٦) التي مؤداها أن الصراع الرئيسي في فترة ما بعد الحرب الباردة هو صراع بين مناطق حضارية تتمايز وفقاً لهويتها الثقافية .

وفى السنوات الأخيرة تزايدت الكتابات التي تتبنى هذا الاتجاه الأخير ومنها الدراسات التالية :

١ – دراسة انجلهارت (١٩٩٧) بعنوان : الحداثة وما بعد الحداثة .

خلصت هذه الدراسة إلى أن معظم الدراسات الغربية بدءً من فيبر إلى هنتنجتون وانجلهارت والتي أكدت على انقسام العالم إلى ثماني حضارات أو مناطق ثقافية وفقاً لتراثها الديني ولهويتها الثقافية ، وأنه رغم الحداثة والتطور الصناعي الهائل طوال القرن العشرين فإن كافة الحضارات لها هويتها الثقافية التي تتأثر بدرجات متفاوتة بالحداثة والعولمة .

٢ - دراسة انجلهارت وبيكر (٢٠٠٠) بعنوان : التحديث والتغير الثقافي وتأصيل القيم التقليدية .

رصد الباحثان عدة أدلة على وجود تغييرات ثقافية شاملة وذلك اعتماداً على نتائج المسوح العالمية للقيم ، وفي نفس الوقت هناك تمسك في العديد من المجتمعات بالقيم التقليدية والهوية الثقافية ، وعلى الرغم من أن التنمية الاقتصادية يصاحبها تحول بعيد عن الموروثات والاتجاه إلى ثقافة أكثر مرونة وعملية ، إلا أن الميراث الثقافي الديني يترك آثاره الواضحة على الهوية الثقافية الأصيلة بالرغم من عملية الحداثة المستمرة .

تعقيب :

يتضح من معظم الدراسات السابقة وخاصة العربية منها أهمية استخدام اللغة العربية في التعلم وخاصة الجامعي ، ورغبة نسبة كبيرة من الطلاب والأساتذة في ضرورة استخدام اللغة العربية في العملية التعليمية ، كما أكدت معظم الدراسات على العوائق التي تحول دون استخدام اللغة العربية مع تفاوت نسبة الطلاب والأساتذة المؤيدين لاستخدام اللغة العربية في التعليم من دراسة لأخرى ومن حقبة زمنية لأخرى، وقد اتضح في دراسات كل من يعقوب أبو حلو ، زهير السباعي ، رجاء أبو بكر ، ريما سعد الجرف وغيرهم ، بالإضافة إلى توضيح أهمية التعريب الذي سيؤدي إلى زيادة استيعاب الطلاب للمفاهيم العلمية وسيؤدى إلى تحسين في مقدار تحصيلهم العلمي ويتمثل ذلك في دراسة نوفل الأحمد .

أما الدراسات الأجنبية فعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لتلك الدراسات ولاسيما المسوح العالمية للقيم ، والدراسات المنبثقة منها مثل دراسة انجلهارت ، وكذلك دراسة كل من انجلهارت وبيكر في توضيح أهمية الموروثات والهوية والقيم الدينية الأصيلة في التكوين الثقافي في المجتمعات العربية وأن الخط المميز لهذه المجتمعات بالمقارنة بالمجتمعات الغربية هو الهوية الثقافية النابعة من الدين ، فهذه الدراسات تنطلق من الفهم الغربي للثقافة ودورها في حياة الفرد وهو يختلف عن فهم مفهوم الأصالة والقيم

في المجتمعات العربية كأساس ومنهج حياة .

وفي ضوء ما سبق تأتي أهمية الدراسة الراهنة التي تحاول دراسة الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية التي تواجه مرحلة التعليم كنظام تربوي وثقافي في ظل تحديات العولمة في المجتمع المصري بخصائصه المميزة كأحد المجتمعات العربية .

أهمية الدراسة :

وبناءً على ما سبق تتمثل أهمية الدراسة واختيار الباحثتين لهذه القضية للمبررات التالية :

١ – الحاجة الماسة إلى مثل هذا النوع من الدراسات التي تهدف إلى مواجهة الأخطار التي تهدد هويتنا الثقافية من خلال أحد مقوماتها الرئيسية وهي اللغة العربية الأصيلة ، ذلك لأن الهوية الثقافية هي من ثوابت مجتمعاتنا العربية وأن العولمة هي عملية مفروضة لابد من مواجهتها وعدم الفرار منها وذلك برصد هذه القضية ومعرفة حدودها ووضعها موضع التحقيق الدقيق من خلال الدراسة الميدانية .

٢ – تعد هذه القضية من القضايا الهامة لأنها تتعلق بمستقبل الأمة العربية ومستقبل الأجيال الناشئة وهويتهم الثقافية ووجودهم وحقهم في التعبير عن أنفسهم بلغتهم القومية السليمة التي هي أداة التواصل بينهم والحافظة لتراثهم وحضارتهم بل وكيانهم العربي .

٣ – تشكل هذه القضية رافداً لتوجيه الأنظار نحو التحديات الثقافية والتربوية للعولمة من خلال بيان خطورة الحرب المعنوية الموجهة ضد الهوية الثقافية في عصر العولمة وخاصة في أهم مظاهرها وهو اللغة العربية والتحديات التي تواجهها هذه القضية في المجتمع المصري بصفة خاصة .

٤ – التأكيد على حقيقة الانتماء وأنه بالنسبة للهوية الثقافية لابد وأن يمثل انتماءً حقيقياً لا وراثياً ولا مظهرياً ولا مصلحياً ، فكلها لا تلبث أن تفنى ولا يبقى إلا الارتباط الحقيقي للأمة .

٥ – المساهمة في تشكيل معالم برنامج لتحصين الأجيال المستقبلية إزاء هذه الظاهرة والتأثير فيها من خلال بيان وسائل الحفاظ على الهوية الثقافية عن طريق تأصيل اللغة العربية ، وكيف تستطيع الأمة الحفاظ عليها على الرغم مما يشنه أعداءها من محاولات لطمسها وإزالتها بشتى الوسائل ، لذا فإن هذه الدراسة تعد إحدى الخطوات في مشروع مواجهة أخطار العولمة على الهوية الثقافية من خلال اللغة العربية .

الأهداف :

يتمثل الهدف الرئيسي في هذه الدراسة في محاولة إضافة إسهام علمي في أحد فروع علم الاجتماع وهو علم الاجتماع الثقافي الذي أصبح مطالباً بالتصدي للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والتربوية والقيمية مثلما هو الحال في دراستنا الراهنة التي تتناول الهوية الثقافية ومأزق اللغة العربية في المجتمع المصري في ظل تحديات العولمة وذلك من خلال التعرف على ما يلي :

١ – ماهية الهوية الثقافية ، وتوضيح مكوناتها الأساسية من وجهة نظر موجهي اللغة العربية .

٢ – أهمية اللغة العربية من بين مختلف اللغات الأخرى في مجتمعاتنا العربية ومن بينها مصر .

٣ – المحافظة على اللغة العربية الأصيلة وعلاقتها بإرساء بعض مقومات الهوية الثقافية كالانتماء .

٤ – دور المدرسة في تزويد الطلاب بالقواعد الأساسية للغة العربية ، وكيفية الاستخدام الصحيح لها .

٥ – المخاطر والتحديات التي تواجه اللغة العربية في ظل عصر العولمة .

٦ – المسئول الرئيسي عن الغزو على لغتنا العربية الأصيلة .

٧ – مستقبل اللغة العربية في مجتمعاتنا .

٨ – كيفية تنمية لغتنا العربية الأصيلة مستقبلاً واستعادة مكانتها المميزة من بين اللغات الأخرى .

التساؤلات :

تحاول الدراسة أن تجيب على التساؤلات التالية :

١ – ما المقصود بالهوية الثقافية ؟ وما وجهة نظر موجهي اللغة العربية في مكوناتها؟

٢ – كيف تمثل اللغة العربية الأصيلة وتنميتها أهمية بالغة من بين مختلف اللغات الأخرى في مجتمعاتنا العربية ومنها مصر ؟

٣ – ما مدى العلاقة بين اللغة العربية الأصيلة وإرساء بعض القيم كقيمة الانتماء ؟

٤ – هل نجحت المدرسة في تزويد طلابها بالقواعد الأساسية للغة العربية ؟ وهل استطاع الطلاب أن يستخدموها الاستخدام السليم ؟

٥ – ما أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية في ظل تيار العولمة ؟

٦ – من المسئول عن الغزو على لغتنا العربية الأصيلة ؟

٧ – كيف تؤثر اللغات الأجنبية المختلفة على مكانة اللغة العربية الأصيلة ؟

٨ – ما مستقبل اللغة العربية في مجتمعاتنا العربية ؟

٩ – كيف يمكن تنمية لغتنا العربية الأصيلة ؟ وكيف يمكن أن نستعيد مكانتها المميزة من بين اللغات الأخرى ؟

– مفاهيم الدراسة والأطروحات الأساسية :

١ – مفهوم الهوية الثقافية ومضمونها :

لقد نال موضوع الهوية بوجه عام والهوية الثقافية بوجه خاص العديد من التحليلات سواء في المجال الأكاديمي أو في المجال الإعلامي ، وكثيراً ما أثير في حد ذاته أثناء قيام البعض بإثارة سؤال يعبر عن تقوقع وانسحاب وتغييب مؤداه : من نحن؟ وماذا نريد ؟ !!! [أنظر : نبيل عبد الفتاح (٢٠٠٦) ، ص ٢٥] .

ولكن يمكن القول أن الهوية تتكون وتشكل اجتماعياً فهي لا تعدو كونها ظاهرة اجتماعية أو إنسانية مما ينزع عنها ذلك الطابع الميتافيزيقي الذي يضفى على الهوية صفات متعالية على الوجود الملموس ؛ فالإنسان وفق ذلك يولد بهوية لا يستطيع منها فكاكاً وكأنها خصائص وراثية ، وقد لازم مفهوم الهوية مضمون فلسفي وديني

يؤكد على المقدس والدائم والمتسق أي غير المتناقض في معنى الهوية ، ولو لجأنا إلى المعنى المعجمي الحديث إذ لا توجد الكلمة في المعاجم القديمة ؛ فنجد أن الهوية تعنى الذات وهذه تفسر : ذات الشيء : حقيقته وخاصة في قاموس عن مفاهيم وألفاظ الفلسفة الحديثة نجد تحت كلمة هوية ما يعرف الشيء في ذاته دون اللجوء إلى عناصر خارجية لتعريفه ، وتستعمل أيضاً للدلالة على الجوهر (وهو ما لا يندرج في الحدوث ولا تدخل فيه التغييرات الزمنية والعرقية) والماهية . [أنظر : معجم اللغة العربية (١٩٧٣) ، ص ٩٩٨] .

أما في المنطق فإن كلمة هوية تشير إلى معنيين :

أ – التساوي أو التشابه المطلق بين كمين أو كيفين ، وهنا تعنى التوافق .

ب – أن يكون الشيء ثابتاً لا يتغير يعتريه أو ما يعترى ما يحيط به وهنا تعنى الثبوت.

وهناك تعريفات عديدة للهوية فيعرفها مجمع اللغة العربية بأنها حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، ويرى محمد عمارة أنها أخلاقيات الأمة وخصائصها الفكرية والأيديولوجية وسماتها الأساسية المميزة تاريخياً لها ؛ فهي تشير عنده إلى القسمات الثابتة من العناصر التراثية وهى تستعصي على التغيير أي أنها الثوابت في الموروث الحضاري . [أنظر : محمد عمارة (١٩٨٥) ، ص ٣٩] .

وتمثل الهوية بوجه عام رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمته بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم ، كما تحتم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركاً لمقومات ذاتية أمته التي هي في ذات الوقت تمثل عوامل تميزها إزاء غيرها من الأمم ، وأن يسعى دوماً إلى الحفاظ على تلك المقومات في مواجهة أسباب التحلل والانهيار ، إلى جانب اعتزاز الفرد برموز أمته وإجلالها واحترامها والولاء لها ، ويتمثل أبرز مقومات هوية الأمة في الموروثات المكونة من الدين واللغة والتاريخ والقيم ويعد تشكيل العلم أحد أهم رموز الهوية . [أنظر : محمد عمارة (١٩٩٩) ، ص ٦] .

والحقيقة أن الوعي بالهوية لدى أفراد أمة لابد أن يكون مقترناً بوجود روح العصبية (العصبية المعتدلة) لديهم فيما يتصل بهويتهم وذاتيتهم ومقومات هذه الذاتية وتلك الهوية ، فالأمة لا تكون أمة إلا بالشعور بالتضامن والتلاحم الجماعي تجاه الأمم الأخرى وإلا كان الهزال وربما الزوال مصيرها . [أنظر : المرجع السابق، ص ٧].

وفي ضوء ذلك يواجه الباحث من البداية بضرورة تعريف وتحديد مفهوم الهوية والذي يظهر في كثير من الكتابات وكأنه بديهة لا تحتاج إلى تعريف أو أن المفهوم يفصح عن نفسه، ولكن المفهوم في حقيقة الأمر شديد الالتباس والغموض رغم أن كثرة التداول توحي ببساطة معناه ومضمونه خاصة وأنه يستخدم بطريقة أو أخرى بين كل فئات المجتمع باعتباره تعبيراً عن روح الشعب Volksgeist . [أنظر : حيدر إبراهيم (١٩٩٩) ، ص ١٠٢] .

وقد عبر فالرشتاين Wallerstein عن العلاقة بين الهوية والعولمة بما أسماه التبادلية أو بمعنى آخر أن تكون للعولمة القدرة على تضمين الهويات وليس دمجها إذا استبعدنا فكرة الهيمنة وذلك بقوله : " لا تمثل الأيديولوجيات الوطنية في العالم الثالث حضارات الماضي الظاهرة إنها تعبير عن الحاجة إلى الاندماج فيما هو كوني وفي الوقت نفسه إلى ربط إعادة ابتكار الفروق بما هو خاص ؛ فالحقيقة أن الكونية يمكن معاينتها خلال الخصوصية والعكس صحيح ". [أنظر : المرجع السابق ، ص ١٠٢].

إن رسم حدود الهوية أو الخصوصية أمر صعب على صعيد الواقع ، لذلك يرى الكثيرون أن الهوية أو الخصوصية هي مفهوم أيديولوجي أكثر منه علمي خاصة وأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومتنوعة فقد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية .

ويرى بعض الباحثين أن الهوية أصلاً مصطلح سياسي ولد ضمن عملية صراع سياسية وفى هذا الصدد يعتقد بايار Bayar أن الهوية في أقصى أحوالها أي ما يسمى بالهوية الأصلية لا تخرج من الإطار السياسي . [أنظر : المرجع السابق ، ص ١٠٣] .

ويلاحظ من التحليل السابق وجود ميل واضح نحو نفى وجود هوية ثابتة ومحددة قطعياً بالطريقة التي يحاول مُدّعو هوية ما تقديمها وترويجها .

ويحلل نادر فرجاني مفهوم الهوية بأنها – تتكون كمتغير في التاريخ – من عناصر الثبات وهو الرافد الأساسي أو النواة ، وآخر متغير يتباين من فترة زمنية لأخرى ، والعنصر الثابت يستمد من التراث من حيث كونه أيديولوجية ، ومن حيث هو تاريخ اجتماعي أي ما يستقر في ضمير الناس ، أما العنصر المتغير في الهوية فيكون استجابة للظروف الموضوعية التي تحيط بالبشر في فترة زمنية معينة . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٤٠] . ويرى طارق البشرى أن الهوية تثير التساؤل : من نحن ؟ [أنظر : المرجع السابق ، ص ٤١] . وهذه التعريفات جميعاً تتقارب ولكن أدقها وأقربها إلى طبيعة وأزمة مجتمعات العالم الثالث ومن بينها المجتمع المصري هو تعريف محمد عمارة وتعريف مجمع اللغة العربية وهما اللذان يجيبان بوضوح عن التساؤل الخاص بمن نحن ؟

ويطلق مفهوم الهوية أيضاً على نسق المعايير التي يُعرف بها الفرد ويعرف وينسحب ذلك على هوية الجماعة أو المجتمع أو الثقافة ، والهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة إلى الأبد إنها حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعانى من الأزمات الوجودية والاستلاب . [أنظر : على الكنز (١٩٩٠) ، ص ١٢] .

والهوية هي حصيلة لمجموعة من أنساق العلاقات والدلالات التي يستقى منها الفرد معنى لقيمة ويضع لنفسه في ضوءها نظاماً يشكل في إطاره هويته بحيث تتوفر له من جراء ذلك إمكانية تحديد ذاته داخل الوسط الاجتماعي الثقافي الذي يعيش فيه باعتباره نظاماً مرجعياً على المستوى السلوكي .

وعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية فإنه على خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته . [أنظر : عبد الله بلقزيز (١٩٩٨) ، ص ٣٦] .

ولذلك فالهوية تتضمن عدة عناصر تتمثل في الجوانب الأربعة التالية :

أ - العناصر المادية والفيزيائية وتشتمل على الحيازات مثل الاسم والآلات والسكن والملابس والقدرات (الاقتصادية والعقلية) والتنظيمات المادية والانتماءات الفيزيائية والسمات المورفولوجية .

ب - العناصر التاريخية : وتشتمل على الأصول التاريخية والأحداث والآثار التاريخية .

حـ - العناصر الثقافية والنفسية : وتتضمن النظام الثقافي مثل العقائد والأديان واللغة والرموز الثقافية ونظام القيم وصور التعبير الأدبي والفني والعناصر العقلية (مثل النظرة إلى العالم والاتجاهات والمعايير الجمعية) والنظام المعرفي (مثل السمات النفسية الخاصة واتجاهات نسق القيم) .

د - العناصر النفسية الاجتماعية : وتشتمل على الأسس الاجتماعية مثل (السن والجنس والمهنة والسلطة والدور الاجتماعي والانتماءات) والقدرات الخاصة بالمستقبل (مثل القدرة والإمكانية والتكيف ونمط السلوك) .

يتضح مما سبق أن عناصر الهوية الإنسانية فردية كانت أو جماعية لا تنحصر في العناصر المادية وحدها ، بل تتعداها إلى مجموعة أخرى من العناصر المادية والفيزيائية والعناصر التاريخية والثقافية والنفسية والاتجاهات والمعايير الجمعية والعناصر النفسية الاجتماعية ، وهذه العناصر وغيرها ضرورية لتكوين هوية الفرد أو الجماعة ووجود هذه العناصر أو غيابها كلها أو بعضها شرط جوهري لوجود هذا الفرد أو هذه الجماعة .

وقد أوضح اريكسون Erekson أن هناك عدة شروط ذات صلة عميقة بالهوية وضرورية لقيامها ومن هذه الشروط : الشعور بوحدة الشخصية وتكاملها والشعور بالوحدة والاستمرارية الزمنية والشعور بالمشاركة العاطفية والشعور بالثقة والاستقلال والمراقبة الذاتية والاعتراف الاجتماعي . [أنظر : محمد إبراهيم عيد ، (٢٠٠٢) ، ص ٦٤] .

والهوية الشخصية كما يشير اريكسون هي عملية مكتسبة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الفرد في مجتمعه ، وهى مظهر من مظاهر نمو الشخصية ، ويشير كينستون Kinston إلى أن حالات التمرد والعصيان والخروج من الأعراف والقيم واللغة إنما تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع ، وقد حدد كينستون صور رفض الهوية الثقافية في : إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع ، ورفض النظام القيمي للمجتمع ، وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع ، وتلاشى اللغة الأصلية الخاصة بالمجتمع . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ١٠٢] .

والشعور بالهوية هو أساس الشعور بالانتماء لذلك كان لفقدان الهوية أحياناً واضطرابها وأزمتها أحياناً أخرى أثرها الواضح والمباشر على شعور الفرد بالعزلة والاغتراب ويؤثر ذلك بصورة واضحة على صحة الفرد الاجتماعية والنفسية حيث انحلال الشخصية وازدواجيتها وصراع القيم وسوء التوافق ... الخ ، وأصبح ذلك مظهراً واضحاً في الثقافة العربية ، وتشير معظم البحوث والدراسات التي تتناول قضية الهوية إلى أن الإنسان لا يستطيع تحقيق هويته إلا في وسط اجتماعي ثقافي يتحقق فيه التفاعل بين الذات وغيرها ، وأنه لا يدرك هويته إلا من خلال المسئولية التي يستثيرها تجاه الآخرين ولا ينمى هذه الهوية إلا بالإبداع والمعرفة واللغة والمعتقدات والخبرة من خلال حياة اجتماعية ثقافية نشطه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اهتمامنا الرئيسي في هذه الدراسة يتركز على الهوية الثقافية التي تعد أساس تماسك المجتمع وتطوره وهى أكثر أهمية في حياة المجتمع من أي أمور أخرى مادية أو اقتصادية .

وهنا نتساءل كيف حال هويتنا الثقافية في ظل العولمة ؟

لقد ارتبط سؤال الهوية بوجه عام بظاهرة العولمة باعتباره القضية المحورية والذي يعبر عن التحدي الحضاري الحقيقي الذي يشهده العالم العربي مع نهاية الألفية الثانية ، ويكاد يكون سؤال الهوية الهاجس الوحيد الثابت في أي معالجة لضرورة العولمة خاصة وأن البعض يرى العولمة وكأنها مخطط أو استراتيجية محددة تم

تخطيطها وتنفيذها بوعي وقصد بهدف اجتياح بقية العالم وتهديد الثقافات المحلية والقومية الأخرى .

فقد لوحظ أن هناك تغييرات كثيرة في الهوية الثقافية بوجه عام وفى الهوية الثقافية الخاصة بمجتمعات العالم الثالث والمجتمعات العربية ومنها مصر بوجه خاص.

فلقد أدخلت تطورات العولمة العالم حقيقة في تفاعلات ومواجهات لم يعرفها من قبل بسبب إسقاطها المستمر لحدود الزمان والمكان ، وتهاوى الحدود بسبب دور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وحركة العمليات التجارية كما تمثلها الشركات عابرة القومية وهجرة العمالة ، بالإضافة إلى تعميم قيم ومبادئ سياسية وقانونية ودستورية مثل انتشار أنماط في السلوك واللغة والمظهر والقيم أو الثقافة عموماً ذات مرجعية غربية أو حتى أمريكية ، كل هذا يجعل كثيراً من الشعوب والمجتمعات تبحث عن وسائل لاستيعاب واقع العولمة الحالي دون خسائر أو تنازلات كبيرة ، والمعيار لمعرفة ذلك هو مدى تأثير العولمة على ما يسمى بالهوية أو الثقافة الوطنية أو الخيار الحضاري . [أنظر : عبد الله أبو هيف (٢٠٠٣) ، ص ٤١٨] .

وتحاول الدراسات العلمية الموضوعية التركيز على تاريخية ونسبية الهوية وعدم الإقرار بثباتها ، مما يعني في سياقنا الحالي عدم التعامل بنظرية القطبية والمواجهة بين العولمة والهوية ، وأنهما يسيران في خطين متوازيين مع احتمالات الصدام والصراع عند حدوث التلاقي أو التقاطع ، بينما نسبية الهوية تجعلها مرنة قد تتعايش أو تقتبس من ثقافات أخرى ، بل قد تساعدها عوامل التقارب وسقوط الحواجز على تفاعل إيجابي وخلاق مع العولمة ، ولكن يتمثل الخطر الحقيقي عند البعض في أن تنهار الهوية أو تطمس أمام غزو وثقافة العولمة . [أنظر: كينج أنتوني (٢٠٠١)، ص ١٥] .

ويرى بعض الباحثين الذين ينظرون إلى إيجابيات ظاهرة العولمة أن هذه الظاهرة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب بل تعيد تشكيلها أو حتى تطويرها لتتكيف مع الحاضر ؛ فالإنسان الآن يتجه نحو إمكانية أن يعيش بهويات

متعددة ولدينا نموذج المهاجرين وبالذات الجيل الثالث مثلاً فهؤلاء لم يعد كافياً أن نصفهم مثل السابق تحت مصطلح الإنسان الهامشي أو النصفيين ، ولكنهم يوصفون إيجابياً بالمزدوجين ؛ فقد ازداد عدد الناس الذين يدركون نتيجة اختزال المسافات ؛ فأوروبا التي دشنت فكرة الدولة الوطنية وروجت لفكرة الغرب أما الدول الأخرى فقد وجدت نفسها في حالات كثيرة مجتمعات تعددية الثقافات وهذا اتجاه جديد ؛ فقد كان الافتراض أو التوقع في السبعينيات هو أن تطور العالم نحو مزيد من الحداثة سيؤدي إلى مزيد من الفردية بل النرجسية التي تغلب عليها التفكير في هوية فردية ، ولكن ما يحدث الآن هو تأكيد على البحث عن هوية جماعية قوية وأشكال جديدة للجماعة ضمن المجتمعات الحديثة ، ويرى الكاتب مافيسولي Maffesoli أن عملية التطور من الحداثة إلى ما بعد الحداثة تنجم عنها حركة من الفردية إلى الجماعية ومن العقلانية إلى العاطفية ، حيث تشابه مرحلة ما قبل الحداثة المرحلة التقليدية ، ويري مافيسولي أيضاً أن الوضع الحالي سوف يعيد العالم إلى القبلية التي وجدت في مرحلة سابقة تقليدية ويسمى هذا الوضع بالقبلية الجديدة وهي قصيرة العمر . إن مثل هذه الآراء ووجهات النظر مهما كانت منطقيتها وقوتها الإقناعية فهي تقلل من أهمية الصورة الكاسحة الموضوعة للعولمة في تفاعلها مع الهوية الثقافية ؛ إذ نجد نفياً لدور العولمة في تغيير الثقافات . [أنظر : محمد بن سعيد التميمي (٢٠٠١) ، ص ٢٦٣] .

وقد اختلف الباحثون حول تأثير ظاهرة العولمة على الثقافة وعلى الهوية الثقافية ، فمنهم من يرى في عولمة الثقافة تجرد من الهوية والولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعاً ، وتحرر من التعصب لأيديولوجيا معينة ، والاتجاه نحو الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أي تعصب وتشنج وتحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو لغة أو دين أو أيديولوجيا بعينها ، وتبنى عقلانية العلم وحياد الثقافة ، بينما يذهب فريق آخر إلى أن عولمة الثقافة لا تلغي الهوية أو الخصوصية بل تؤكدها حيث أن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم وعن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده ، ومن ثم فلابد من

وجود ثقافات متعددة ومتنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية أو بتدخل إرادي من أهلها على الحفاظ على كيانها أو مقوماتها الخاصة . [أنظر : محمد إبراهيم مجاهد ، مرجع سابق ، ص ١٩] .

وإذا كان البعض ينقل ويردد مقولات سائدة في سوسيولوجيا التحديث حول إيجابيات الاحتكاك والانتشار الثقافي الناتج عن نقل ثقافة المجتمع الحديثة إلى المجتمع التقليدي مع نقل التكنولوجيا إلى داخل البنى التقليدية من شأنه أن ينقل المجتمع الأخير إلى مرحلة الحداثة ، ومن ثم يستطيع تخطي الفارق الزمني الذي يفصل بين المرحلة التي يعيش فيها المجتمع التقليدي وبين المرحلة التي وصل إليها المجتمع الحديث (الرأسمالي) ؛ فإننا نقول يخطئ من يتصور أن التبادل الثقافي أمر وارد بين ثقافتين غير متكافئتين ، بل يخطئ أكثر من يرى أن الاحتكاك الثقافي والانتشار يساعد الدول الأقل تقدماً في تخطي مرحلة التخلف ففي كل حالات التبادل الثقافي غير المتكافئ (الاختراق أو الغزو) فإن الثقافات الأدنى (التقليدية) تفقد تدريجياً مقومات استمراريتها وبذلك تتفكك وتنهار وعليه نؤكد ما توصل إليه فريمون Freemon في كتابه " تلاقي الثقافات والعلاقات الدولية " أن الثقافات الأضعف لا تجد أمامها إلا التفكك والانهيار مما يشكل إشكالية على صعيد الهوية وعلى نمط الحياة الاجتماعية ؛ فإن فقدان الاستمرار يشكل المصدر الخفي لضياع المجتمع وتجزئته . [أنظر : أحمد مجدي حجازي ، مرجع سابق ، ص ١٣٦] .

ولقد تعرضت مجتمعات العالم العربي ومنها مصر لأزمة هوية وارتدادها للدفاع عن الهوية القيمية في مواجهة التأثيرات الأيديولوجية للحضارة الغربية ، ويرجع ذلك إلى ما مرت به هذه المجتمعات من متغيرات في منظومة القيم ومن حراك اجتماعي ومن عوامل وظروف سياسية وعسكرية واقتصادية خلفها الاستعمار وراء ظهره ؛ فكل هذه العوامل وغيرها خلقت تهديداً لمبادئ الهوية الأساسية لدى الكثير من الأفراد فالواقع بكل ما يحتويه من تناقضات يصعب استيعابها في إطار هويتنا، وقد أفقدنا هذا الإحساس بالاستمرارية والتفرد والخصوصية ، وهنا يمكن القول أن عدم تبلور فلسفة اجتماعية ثقافية سياسية تنبثق من الهوية الحضارية للأمة من جهة

وتتوافق مع معطيات العصر من جهة أخرى وتُرضي في الوقت نفسه حاجات الجماهير العربية وتطلعاتهم قد أفضى إلى حالة من الخلط والضياع وضبابية الرؤية على الطريق . [أنظر : محمد عمارة (١٩٩٩) ، مرجع سابق ، ص ١٠] .

ولذلك تُعد العولمة أحد التحديات التي تقف أمام الهوية الثقافية في مجتمعات العالم الثالث ومنها مصر لأنها تحطم قدرات الإنسان فيها وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج مما يشكل لديه قيم الاتكالية والتواكل ، كما يجعله يتباهى داخل مجتمعه بالإلمام باللغات الأجنبية (لاسيما الإنجليزية) حيث يذهب به حب التفاخر والمظهرية إلى استخدام ألفاظ أجنبية بصورة متكررة ، أو يظهر ذلك في الأحاديث العادية مع أبناء مجتمعه معتبراً أن النطق بهذه الألفاظ إنما هو دليل التمدن والتحضر والرقى ، وفى ذلك اعتداء على لغته القومية التي هي أيضاً أحد أبرز مقومات الهوية الثقافية .

التعريف الإجرائي للهوية الثقافية :

في ضوء ما سبق فالهوية الثقافية تعد أحد مكونات الشخصية الوطنية وهى مجموعة من الصفات والمشاعر والأحاسيس والأفعال والسمات التاريخية والأبعاد الفكرية والفنية والروحية والتي لا يمكن دراستها بمعزل عن البناء الاجتماعي أو مجمل السياق التاريخي أو المتغيرات الاجتماعية والثقافية وهى تشكل بدورها نمط حياة اجتماعي وثقافي في كل شيء في الملبس والمأكل واللغة والفكر والقيم والسلوك ونمط الاستهلاك وغيرها من المقومات الاجتماعية والثقافية والتي تتجدد وتعيد تشكيل ذاتها في إطار خصائصها لأنها في حركة داخلية مستمرة وتتغذى بالموروثات العريقة للمجتمع وبالقدرات الداخلية الثقافية والإبداعية فيه ، كما تتغذى بالإسهامات الخارجية عن طريق الاستيعاب والتحوير والتمثل دون أن تذوب فيها أو أن تفقد أصالتها وخصوصيتها .

٢ – اللغة العربية :

إن أي لغة تعنى صورة السلوك الإنساني الشاملة التي تنطوي على الاتصال الرمزي من خلال نسق النماذج الصوتية المتفق عليه ثقافياً ، والذي يحمل معان مقننة،

وتعتبر اللغة جزءاً من التراث الثقافي ومُعبّرة عنه في نفس الوقت ، وتتحول الأصوات التلقائية في اللغة إلى رموز ثقافية قادرة على توصيل الأفكار والرغبات والمعاني والخبرات والتقاليد من جيل لآخر واللغة نتاج اجتماعي تمثل التجارب المتراكمة والراهنة والعواطف والمعاني التي يمكن نقلها داخل ثقافة معينة ، بالإضافة إلى أهميتها في الإدراك الاجتماعي والتفكير ومعرفة الذات ومعرفة الآخرين وهى لذلك ضرورية للوجود الاجتماعي [أنظر : عبد اللطيف محمد خليفة (٢٠٠٣) ، ص ١٢٤].

ولذلك تعبر لغة أية أمة من الأمم عن هويتها التي إليها تنسب وحضارتها التي تفخر بها ، وعلى قدر حفاظها عليها وإتقانها لها يكون قدرها بين الأمم ؛ ولذلك فاللغة العربية هي مناط شخصية العرب الحضارية ، ووعاء قيمهم الخالدة ومستقر إبداعهم وقوام ثقافتهم ؛ فاللغة في الأساس منهج فكر وطريقة نظر وأسلوب تصور ، وليس صحيحاً ما يسود من قول قوامه أن العلم لا وطن له ؛ فإذا كان للعلماء وطن جغرافي فإن للعلم وطناً فكرياً ، وهذا الوطن هو اللغة ، وتتملك اللغة كل فكر يدخل إليها وتطبيقات هذا في الواقع المعاش . [أنظر : المرجع السابق ، ص ١٢٥] .

واللغة هي الرباط الوثيق الذي يربط بين أبناء الأمة رغم اختلاف لهجاتهم وأعرافهم ، وهي اللغة التي لا تعرف العجز ولا ينتابها القصور لوفرة مترادفاتها ، كما أنها تستوعب كل جديد وتبسط باعها لاستقبال كل حديث .

وقد قال عباس محمود العقاد عن اللغة العربية : إذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة فليس في اللغات لغة أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها ، ويحق لنا أن نعتبرها أوفى اللغات جميعاً بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان ؛ فإن اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز على أتمه . [أنظر : محمد رشيد ناصر ذوق ، مرجع سابق ، ص ١٠] . ولا تهمل وظيفة واحدة كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية فلا التباس في حرف من حروفها بين مخرجين ، ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين ، وقد تشاركها اللغات في بعض هذه المزايا ولكنها لا تجمعها كما جمعتها ولا تفوقها في واحد منها ، وقد أكدت معظم

الدراسات اللغوية على أهمية اللغة العربية وعن نشأتها وتطورها ونموها واتساعها ، وأيضاً عن دورها الأساسي في تكوين نظرة الإنسان للكون ؛ فاللغة ليست فقط أداة ووسيلة يستخدمها الفكر ، بل هي أيضاً الوعاء الذي يتشكل فيه الفكر ، والدليل على ذلك أن الطفل منذ ولادته يتعلم التفكير بواسطة كلمات لغة مجتمعه الذي يشب فيه ، ويتوقف عالمه الفكري على إمكانات لغته الأم وخصوصية الأمة وخصوصية اللغة مترابطان معاً ، وبالتالي فإن تفكير الأمة وكلامها مترابطان أيضاً فتصبح اللغة مخزناً لتجارب الأمة فتنقلها من جيل إلى آخر ، أي أنها ناقلة للتراث الذي بدوره يحدد النظرة إلى الحق والخير والجمال والكون بشكل عام . [أنظر : أحمد بن محمد الضبيب ، مرجع سابق ، ص ٣٩] .

واللغة هي أوسع من أن تكون أداة بل أوسع من أن تكون محتوى ، بل هي معنى يحدد المعرفة تماماً وتفكر الجماعة في إطار لغتها التي تتكلمها ؛ فهي إذن التي ترسم تصورها للعالم وهى الناظم لتجاربها وهى المحدد للتفكير ؛ فالإنسان يفكر حسبما يتكلم أي أن اللغة هي التي تحدد قدرة الإنسان على الكلام ، وقدرته على التفكير ، وهذا ما يوضح الأثر الأكبر للغة العربية على تكوين العقل والفكر العربي وتصريف الأفعال وتوجيه السلوك ، وقد روى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمودة ، كما أنه كتب إلى أبى موسى الأشعري أن يأمر من هم قبله بتعلم اللغة العربية فإنها تدل على صواب الكلام .

ويعبر المفكر الألماني آرنت Arnet عن اللغة بالوطن فقد كان يحدد الوطن الألماني بحدود اللغة الألمانية . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٤٠] .

وقد أكد كمال بشر في أحد مؤلفاته بعنوان : " علم اللغة الاجتماعي " على أهمية اللغة الأم ، ويروي التاريخ أن الأمم الحية تنظر إلى لغتها القومية نظرة إجلال واحترام ، وتزداد هذه النظرة عند الشدائد فحينما احتل الأعداء بولندا لم يستطع البولنديون مقاومتهم عسكرياً وإنما كانت المقاومة تتمثل في أمر وحيد قد يبدو للبعض بسيطاً وهو إحياء لغتهم القومية التي حاربها المستعمر فصمدوا بأغانيهم الشعبية

ونثروا آدابهم ولغتهم ونشروها أينما ذهبوا حتى أن البولندي كان يتكلم لا لشيء إلا رغبة في إشباع عاطفته القومية . [أنظر : مصطفى عمر التير (١٩٩٦) ، ص ٤٥].

ويؤكد فوسلار Foslar على هذا بقوله : " إذا حُرم الإنسان من موطنه على الأرض فإنه يجد موطناً روحياً في لغته القومية ، ودانتي صاحب الكوميديا الإلهية على الرغم من مناداته ودعوته للغة عالمية موحدة فإنه كان يعتبر من يتخلى عن لغته الإيطالية غبياً ملحداً " . [أنظر : مصطفى يوسف منصور ، مرجع سابق] .

وبينما تعامل الأوروبيون هكذا مع لغاتهم حاربوا لغاتنا وحاولوا طمسها وقد عبر العقاد عن ذلك بقوله " لقد تعرضت لغتنا العربية وحدها بين لغات العالم لكل ما ينصب عليها من معاول الهدم ، ويحيط بها من دسائس الراصدين لها لأنها قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية " . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ٢٦] .

فنابليون على سبيل المثال كان يودع بعثاته الاستعمارية قائلاً علموا اللغة الفرنسية أينما ذهبتم فتعليمها هو الخدمة الحقيقية للوطن ، وهكذا كان قائلهم يؤكد أن الجزائر لن تصبح مملكة فرنسية حقيقية إلا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية وهذه الخطة الفرنسية المحكمة التي نفذها كرومر في مصر حين أوقف تعيين كل من لا يعرف الإنجليزية في المصالح الحكومية المصرية . [أنظر : خالد عبيدات ، مرجع سابق ، ص ١٧] .

والواقع الراهن يشير إلى أن قيم العولمة وقبول الآخر أدى إلى تراجع اللغة العربية في البيت والمدرسة والجامعة والشارع والمؤسسات التعليمية بكافة أنواعها ، وتدهور اللغة العربية في مصر نتيجة الظروف السياسية والعسكرية التي مرت بها هو حال معظم الدول العربية التي تعرضت لظروف مماثلة فيما يتعلق بالاحتلال والاستعمار الأجنبي ؛ ففي المغرب أيضاً على سبيل المثال أوضح بنسالم حميش أن الأدب المكتوب بالفرنسية يعد دليلاً على سلبية الهوية المزدوجة ، ودعا الكاتب الأدباء المغاربة إلى التقليل من عدائهم المترسخ إزاء اللغة العربية والهوية القومية والثقافية لبلدانهم الأصلية . [أنظر : احمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ٢٧] .

وقد أكد حسن حنفي عن نشأة علم الاستغراب في مواجهة التغريب Westernization الذي امتد أثره ليس فقط إلى الحياة الثقافية ، بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ، كما أكد الباحث على ضياع اللغة العربية الفصحى وازدواجها مع العامية ، وفي إطار الاعتداء على دور اللغة العربية كمقوم للهوية الثقافية تكالب معظم رجال الأعمال والتجار المصريين على إطلاق مسميات أجنبية على مشاريعهم المختلفة من قرى سياحية ومحال وقنوات تليفزيونية وغيرها ، كأن اللغة العربية قد أصبحت عاجزة عن مجرد تقديم مسميات لتلك المشروعات والمحال ... وغيرها . [أنظر : عبد اللطيف محمد خليفة ، مرجع سابق ، ص ١٢٤] .

وفي مجال التعليم فيلاحظ أيضاً أن هناك اهتماماً كبيراً بتعليم اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية لتلاميذ المرحلة الابتدائية في البلاد العربية ومنها مصر على الرغم من أن ذلك لا يتفق مع قواعد التربية الصحيحة وينافى مبادئ التربية القومية السليمة ؛ فالطفل العربي يعيش منذ بداية تعليمه ازدواجية لغوية فكرية تؤثر بالسلب في شخصيته وتكوينه الفكري والسلوكي حيث يتعلم الطفل في حياته اليومية لغة غير هذه التي تعلمها في المدرسة . وتشكل هذه الازدواجية اللغوية واحداً من عناصر عديدة تؤدي إلى ازدواجية فكرية وسلوكية . [أنظر : باولو فرايري (١٩٨٠) ، ص ٥٣] .

ويمكن القول ونحن في هذا الصدد أن المهمة الأساسية لمجمعات اللغة العربية ليست في البحث فقط عن ألفاظ عربية لمصطلحات غير عربية بل ضبط معاني الألفاظ والمصطلحات والنحو ، وإذا كانت الشكوى عامة من هبوط مستوى اللغة وجهل أبنائها بها فإن ذلك ليس ناتجاً عن انهيار مستوى التدريس في مؤسسات التعليم بل بسبب اكتساح في الأفكار الجديدة لقواعد اللغة . [أنظر : أحمد على كنعان ، مرجع سابق].

وفى ضوء ذلك أصبح المواطن العربي عموماً نتيجة سيطرة العامية يعانى من التمزق والتناقض فهو يمتلك لغة للكتابة والقراءة ذات آليات داخلية راقية ، ولكنها لم تعد تسعفه بالتعبير الضروري لما يفرضه نتاج العالم المعاصر من تعدد واتساع

المجالات ؛ فالمثقف بحاجة إلى المادة اللغوية التي تعبر عن العلم والتكنولوجيا والصناعة ، ولم يكن أمامه إلا استخدام العبارات المستوردة للمستوردات وهنا تزداد حدة التصارع الداخلي ذلك أن العربي الذي يتكلم بالضرورة لهجة عامية أصبح يجد تقريباً فيها ما يسد احتياجاته في المجال الحضاري من مسميات أجنبية مع بعض التكسير ولكنه لا يستطيع التعامل معها فكرياً لأن العامية خالية من الآليات والأدوات اللازمة للتفكير ، بل هي ليست لغة لفقرها الداخلي رغم مظهر غناها الخارجي ، وأصبح المناخ الذي يعيش فيه المواطن العربي المثقف اليوم مكوناً من مجالين كلاهما قاصر عن التحدث باللغتين الفصحى والعامية ، والطامة الكبرى تحيق بالأمي الذي أصبح سجيناً للعامية يتعامل مع أشياء لا يسميها وإذا سماها فبأسماء أجنبية مكسرة الأمر الذي يؤثر سلباً في بنيته الفكرية . [أنظر : عبد اللطيف محمد خليفة ، مرجع سابق ، ص ١٢٤] .

التعريف الإجرائي للغة العربية :

وبناء على ما سبق فاللغة العربية هى اللغة الفصحى التى تعبر عن جوهر الوجود العربي لأنها علامة هامة تميز الهوية العربية والصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية وانسلاخ الأمة عن تاريخها ، والآلة التي ندرك بواسطتها ما حولنا أو هي الوعاء الأساسي لإنتاج المعرفة والإبداع ، والتي أثبتت قدرتها الفائقة على حمل أرقى ما توصلت إليه معرفة الإنسان ، بل وكانت الرائد لأكثر وأصعب مجالات المعرفة بدخولها أوسع حركة للتعريب بأسس علمية سليمة على الرغم مما تتعرض إليه من اعتداءات متتالية في ظل العولمة .

٣ – العولمة :

منذ عقد التسعينيات والحديث يجرى على نطاق واسع في كل أنحاء العالم وعلى كافة المستويات ، وربما كل الفئات عن العولمة Globalization ولقد برزت خلال الآونة الأخيرة تساؤلات متعددة عن طبيعة العولمة ، وعن حقائقها وأوهامها وأبعادها وعن إيجابياتها ومخاطرها ، وعن كيفية التعامل مع إفرازاتها وتأثيراتها ،

وأصبح من غير الممكن فهم عقد التسعينيات وما حدث ويحدث فيه من تطورات متلاحقة دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة التي أصبحت الآن الاتجاه العام أو على حد تعبير مايك فيذرستون M. Feraston الإطار المرجعي لكل الدراسات الاجتماعية والإنسانية ؛ فلقد برزت العولمة بشكل واضح خلال عقد التسعينيات لكنها سرعان ما تحولت إلى قوة من القوى المؤثرة في الحقائق والوقائع الحياتية المعاصرة ، وهى الآن القوة الرئيسية التي تقود البشرية ككل إلى المستقبل وتعدها لمعطيات ومتطلبات القرن الواحد والعشرين [أنظر : مايك فيذرستون (١٩٩٩) ، ص ٣] . وأصبح من الواضح أن معظم التحولات الاقتصادية والثقافية والسياسية والتكنولوجية المذهلة والمتسارعة التي يشهدها العالم هي إما سبب من أسباب العولمة أو أنها مجرد نتيجة من نتائجها العميقة ، وأصبحت معظم المجتمعات بما في ذلك أكثرها ميلاً للتقوقع معنيّة اليوم بالعولمة شاءت ذلك أم أبت ، في حين أن البعض الآخر يبدو وكأنه يحبو نحوها ببطء شديد وبتردد وربما بتخوف وبخطوة إلى الأمام وعشرات الخطوات إلى الوراء . [أنظر : هانس بيتر مارتن وهارالد شومان (١٩٩٨) ، ص ٢٤٥] .

ويمكن القول أن كلمة العولمة كظاهرة ونظرية ومفهوم هي الأكثر تداولاً واستخداماً حتى بين غير المتخصصين في قضايا الفكر والثقافة ، وقد شغلت العولمة الناس كثيراً في الفترة الأخيرة وأصبحت بمثابة موجة فكرية أو صرخة إعلامية وفى كل الأحوال فقط فرضت نفسها على أجندة الفكر العربي إلا انه يتميز أيضاً بالانقطاع والتوقف فقد اهتم المفكرون العرب بقضايا مثل التنمية – الديمقراطية – العدالة – تحرير المرأة – المجتمع المدني – البطالة – الإدمان ... وغيرها من الموضوعات وقد جذبت هذه القضايا الباحثين والمثقفين إلى عقد الندوات والمؤتمرات والحديث في مختلف وسائل الإعلام ، ولكن سرعان ما تنحسر الموجة بعد فترة قصيرة من الزمن وتسقط في طي الإهمال والنسيان دون أن تكتمل ويتراكم بحث وفهم الظاهرة ، والآن نعيش زمن الاهتمام بالعولمة لأنها أكثر حدة وإثارة وهى تمثل مكانة متقدمة في مجال الفكر العربي ، وأصبح لموضوع العولمة باختلاف زواياه ومنطلقاته ونتائجه حضور فكرى دائم وصل إلى درجة الازدحام والتضخم بالذات حين يحدث التكرار وعدم

الابتكار ، ولكن تظل قضية العولمة تحتاج إلى مزيد من التحديد والدقة ؛ إذ لم تحل التعريفات المتعددة إشكاليات المصطلح النظرية والمفاهيمية ولا المشكلات الواقعية والفعلية ، أي النتائج والتأثيرات ونخشى أن يكون الإسهاب والإفاضة قد أخّر أو كما يقولون أن اتساع العبارة التي تصف العولمة قد ضيّق رؤية حقيقة ظاهرة العولمة ، وقد يكون عدم الاتفاق وتعددية المعاني نفسها هي انعكاسات لتأثير العولمة على التفكير والإدراك [أنظر : محمود سمير المنير (٢٠٠٠) ، ص ٢٢] . أما بصدد التعرف على ماهية العولمة فهناك العشرات من التعريفات التي تتسم بالشمول والدقة والحصر بصدد مفهوم العولمة لكن مهما كان الأمر بالنسبة للتعريف ومدى دقته أو شموليته فإن الأمر المفروغ منه الآن هو أن هناك أكثر من بعد للعولمة ، ولقد اختلفت الآراء حول مفهوم العولمة ، كما اختلفت حول مفهوم النظام العالمي الجديد ليس في العالم العربي فحسب بل في المجتمعات الغربية التي أنتجته . [أنظر : كينج انتوني ، مرجع سابق ، ص ١٥] .

ومن الطبيعي أن يتفاوت فهم الأفراد للعولمة ومضامينها المختلفة وفقاً لاختلاف اهتمام الباحثين ونظرتهم إلى الحضارة الغربية ومجريات الأمور في الواقع ، ولذلك يرى روبنسون Robinson أن العولمة تعد عملية ديناميكية من الاعتماد المتبادل والمتزايد بين الدول القومية حيث تصبح الموضوعات فيها عالمية بدلاً من أن تكون قومية [أنظر : رونالد روبنسون (١٩٩٨) ، ص ٢٧] .

ويؤكد مالكوم وترز M. Waters أن العولمة عملية اجتماعية تذوب فيها الفواصل الجغرافية بين الدول ، كما أنها تمثل على حد تعبير مارشال ماكلوهان M. Mcluhan عملية تكتسح العالم كله وتحوله إلى قرية عالمية .

وهناك منظوران ينبغي التأكيد عليهما عند الحديث عن العولمة :

يتمثل الأول في النظر إلى العولمة بوصفها عملية طبيعية تلقائية تراكمية محايدة تتمثل أساساً في التطورات العلمية والتكنولوجية الكبرى في مجالات الاتصالات والمعلومات والتي تعتبر بمثابة القوة الدافعة أو الطاقة المولدة والمحرك للعولمة ؛

فالعولمة والثورة العلمية والتكنولوجية هما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان أما المنظور الآخر فيتمثل في النظر إلى العولمة في صورتها المقصودة أو المصنوعة المُحمّلة بتوجهات أيديولوجية من خلال استخدام تلك العملية عن قصد لتحقيق الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية على العالم احتفاظاً بالتفوق من جانب الأقوياء وتكريساً لتبعية المستضعفين والتي تظهر في سعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة العالم وفقاً لمصالحها وتوجهاتها وأنماط الثقافة السائدة فيها والتي لا يبدو أنها تأخذ مصالح الآخر في الاعتبار ، ولعل هذه السمة تحديداً هي المصدر المباشر للعديد من المخاوف التي لولا ذلك لما كان لها ما يبررها فالدول ليست سواء من حيث مدى قوتها الحالية ومدى قدرتها على التأثير في مسار هذه اللحظة التاريخية وتوجيهها لخير الإنسانية كما هو مأمول فقد بادرت الدول الصناعية الكبرى والشركات متعددة الجنسيات أو العابرة للقارات في استغلال تلك العملية التاريخية المحايدة في جوهرها لتتخذ منها أداة للهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية على الأغلبية الفقيرة والمتأخرة ثقافياً وصناعياً ، ولتحاول أن تعيد صياغة العالم وفق تصورها على وجه يضمن لها الاحتفاظ بتفوقها وتميزها إبقاءً على تبعية الآخر ، بل وتكريساً لتلك التبعية وعلى وجه يتسم بقصر النظر الذي تغذيه صلافة القوة . [أنظر : أولف هانزر (١٩٩٩) ، ص ٢٣١] .

ومن الملاحظ أن لظاهرة العولمة تحديات متعددة في كافة أبعادها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .

فبالنسبة للبعد الاقتصادي يمكن القول أن العولمة أول ما بدأت في مجال الاقتصاد وذلك منذ منتصف النصف الثاني من القرن العشرين . فقد عملت العولمة تلقائياً على خدمة المصالح الاقتصادية والمالية الكبرى فقط على حساب غيرها من الاعتبارات الاجتماعية والإنسانية والبيئية . وتشير بعض الدراسات الإحصائية لاقتصاديات العولمة إلى تزايد أعداد المليارديرات وتضاعف السلع والأنماط الاستهلاكية الباهظة وزيادة معدلات البطالة الناتجة عن سياسات الخصخصة التي أصبحت السمة الرئيسية لمعظم اقتصاديات الدخل القومي والعديد من دول العالم الثالث اليوم . [أنظر : مايك فيذرستون ، مرجع سابق ، ص ٧] .

وبالنسبة للبعد السياسي : فيمكن القول أن السياسة هي أخطر محطات العولمة فالعولمة التي بدأت في مجال الاقتصاد والاتصال تمضى في سبيل التأثير على السياسة وأول ما فعلته بالسياسة هو أنها أفقدتها أهميتها القصوى فسياسات العولمة في العالم أجمع تقلل يوماً بعد الآخر من مناعة السياسة في مواجهة الاقتصاد ، ونلاحظ هذه الظاهرة في اتجاه عدد من الدول التي كانت بينها علاقات صراع أو حتى حروب في الماضي إلى تعزيز علاقات التعاون الاقتصادي اليوم مثل علاقة الولايات المتحدة الأمريكية بالصين .

أما على مستوى السياسة الداخلية بالنسبة لدول العالم الثالث فقد برزت ظاهرة تراجع اهتمام المواطن العادي بالقضايا السياسية وتركيزه على القضايا التي تمس قوته وحياته اليومية مثل التعليم والخدمات الصحية وبرامج الضمان الاجتماعي ، وهذه القضايا هي نفسها تعد من أهم تناقضات عصر العولمة ، كما أضعفت العولمة من قوة وسطوة الدولة التي أصبحت مضطرة لتقديم وعود وتنازلات عن سلطاتها على حساب مواطنيها أو للمجتمع الدولي لصالح الشركات والمستثمرين الأجانب الذين يعملون داخل حدودها . [أنظر : سامي محمد نصار ، مرجع سابق ، ص ١٢] .

وبالنسبة للبعد الاجتماعي : فلقد أصبحت دول العالم الثالث مهددة بكوارث بيئية وبانتشار الأوبئة الفتاكة وتفشى ظاهرة العنف والإرهاب والتطرف التي أصبحت أكثر انتشاراً اليوم من أي وقت آخر بل إن الدول نفسها تشكو حالياً من تفاقم معدلات الجريمة والمخدرات والفقر ، ومن أكثر التحديات خطورة بالنسبة للبعد الاجتماعي هو محاولة القضاء على الطبقة الوسطى (المثقفة) ودحرجتها إلى حافة الفاقة وهى الطبقة النشطة سياسياً واجتماعياً وثقافياً والنواة الصلبة للمجتمعات الحديثة والتي قادت العديد من الحركات الثورية دفاعاً عن الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان ، كما تؤدى العولمة إلى زيادة التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي والمعرفي بين الناس وتقليص دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية نتيجة خروج المرأة إلى العمل وزيادة النمط الاستهلاكي وغيرها من التحديات الاجتماعية . [أنظر : عبد الله بلقيز ، مرجع سابق ، ص ٣١٢] .

أما بالنسبة للبعد الثقافي محل اهتمام الدراسة الراهنة لأنه يعد من أخطر أبعاد العولمة ذلك لأنه يتدخل مباشرة في صياغة اللغة والفكر والسلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية وغيرها من المقومات الثقافية بوسائل متعددة ، ومن أجل ذلك كانت معظم هواجس الباحثين والمفكرين تتعلق بمخاوفهم من تأثير العولمة على المكونات الثقافية للشعوب .

وهنا يثار تساؤل رئيسي مؤداه : ثقافة العولمة أم عولمة الثقافة ؟ أو بمعنى آخر هل تقبل الثقافة التعولم ؟ أم تظل غير مؤهلة أصلاً لهذه الخاصية ؟ وهل العولمة عملية غسيل حقيقية للأدمغة كما أشار مارتن ولف M. Wolf ؟ [أنظر : أحمد مجدي حجازي ، مرجع سابق ، ص ١٣٩] .

ولكن رغم هذا الموقف المتردد والتخوف الملحوظ والذي يغلب عليه في أغلب الأحيان الطابع العدائي للعولمة الثقافية كأيديولوجية جديدة ، فإن الثقافة وعناصرها الرئيسية كاللغة والفكر والأدب والقيم ... ومن ثم الحياة الثقافية عموماً تظهر ميلاً واستعداداً واضحاً للعولمة والتعولم ، ولو تركت الثقافة لطبيعتها وأعطيت حرية الاقتصاد نفسها لأصبحت أسرع وأكثر عولمة من الاقتصاد والجوانب الحياتية الأخرى ، ويرجع ذلك إلى أن اللغة والأفكار والقيم والمفاهيم والقناعات تحمل في أحشائها دائماً بذور العولمة بمعنى الاستعداد للانتشار الحر بدون قيود والانتقال العابر للحدود والتوسع على الصعيد العالمي والتي ستؤدى في نهاية المطاف إلى صراع الحضارات الذي أكد عليه صمويل هينتنجتون S. Huntington في أحد مؤلفاته حول صراع الحضارات وتشكيل النظام العالمي الجديد .

وهنا يشير جلال أمين إلى أن العولمة الثقافية لا تعنى مجرد صراع الحضارات أو ترابط الثقافات بل إنها توحي أيضاً باحتمال نشر الثقافة الاستهلاكية والشبابية عالمياً فلم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبلاً على لغات ورموز ومعطيات وسلع الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب في كل المستويات الاجتماعية وفى كل القارات مثلما يحدث اليوم . [أنظر : صمويل هنتنجتون (١٩٩٩) ، ص ٣٧] .

فلقد عملت العولمة على شيوع أنماط الحياة الاستهلاكية الغربية والأمريكية على وجه التحديد ، وقد أصبحت هذه الظاهرة حقيقة نلمسها في الحياة اليومية ليس في مصر والعالم العربي فقط وإنما في أكثر الدول انغلاقاً على ثقافتها المحلية مثل الصين واليابان فثقافة العولمة وخصوصاً ما يمكن أن نسميه بالثقافة الشعبية هي في الحقيقة متأثرة بشكل كبير بالثقافة الشعبية الأمريكية ويرجع ذلك إلى استمرار تفوق الولايات المتحدة الأمريكية ليس إلى عناصر قوتها المادية الملموسة في الاقتصاد والتسلح ، وإنما للجاذبية التي تتمتع بها الثقافة المتمثلة في اللغة والقيم الأمريكية عبر العالم أجمع . [أنظر : برهان غليون وسمير أمين (١٩٩٩) ، ص ١٨٧] .

وهنا يؤكد مايك فيذرستون أن التعدد والتداخل الثقافي العالمي يؤدى إلى نشأة كيان عالمي يعرف بأنه نطاق من التفاعل والتبادل الثقافي ، فهو عملية تقوم فيها سلسلة من التدفقات الثقافية لإفراز تجانس ثقافي وفوضى ثقافية في آن واحد حيث إفراز ثقافات عابرة للقوميات وداعمة لها وفى هذا تتشكل ثقافة مهجنة تتجه إلى ما وراء حدود القوميات أطلق عليها فيذرستون " ثقافة ثالثة " حيث يرى أولف هانزر O. Hunzar أن هذه هي ثقافة مهنية ترتبط بأسواق العمل للقوميات . [أنظر : أولف هانزر ، مرجع سابق ، ص ٤٥] .

وقد تمكنت هذه الثقافة من توحيد شباب العالم كما لم تتمكن أية قوة أو مؤسسة أخرى من توحيدهم في التاريخ ؛ فالشباب الذي أخذ يبرز كقوة شرائية مهمة وصاعدة يأكل من الوجبات السريعة نفسها كالهامبرجر والبيتزا ودجاج كنتاكي وهارديز ويشرب من المشروبات الغازية كالبيبسى والكوكا كولا ، ويستمع للأغاني الشبابية الراقصة نفسها لمايكل جاكسون ومادونا وشاكيرا ، ويلبس الملابس العالمية نفسها من الجينز ومن الماركات العالمية الأخرى ، ويشاهد الأفلام الأجنبية المثيرة ، ولقد حققت هذه الثقافة الاستهلاكية أكبر انتصاراتها خلال هذا العقد ولاشك أن هذا الانتصار الذي تحققه تلك الثقافة الاستهلاكية يؤرق المجتمعات ، كما أنه يقلق دول العالم الثالث بصفة خاصة ومنها مصر تلك الدول التي فقدت السيطرة على الوضع الاقتصادي والسياسي وهى تفقد الآن السيطرة على الوضع الثقافي . [أنظر : حيدر إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ١٢٠] .

نستخلص مما سبق أن ظاهرة العولمة لها ثقافتها وهى ثقافة غير مكتوبة وقيمها مبثوثة عبر الأقمار الصناعية والقنوات الفضائية عبر أساليب الحياة اليومية في الطعام والشراب والكساء والمواصلات والهاتف والتلفاز ونظم التعليم وفرص العمل والمعرفة باللغات الأجن ـطوابير الهجرة على أبواب السفارات الأجنبية إلى الدول الصناعية ، وتشكل العولمة الثقافية والتربوية أخطر مظاهر العولمة ؛ إذ يمكن اعتبارها عملية اغتصاب ثقافي تربوي للفرد والأمة والمجتمع وقهر لهم جميعاً ويتضح ذلك من التدخلات الخارجية بتغيير مناهج التعليم ، وطمس اللغة العربية من أجل هدم المنظومة القيمية واهتزاز النظم التربوية كل ذلك بهدف تكوين جيل عربي مسلوب الهوية والانتماء الوطني والقومي يؤمن بنموذج الحياة الأمريكية ، ويدعم مصالحه وأساليب هيمنته .

ولذلك مفهوم العولمة في هذا البعد يُشحن عادة بلغة العداء الأيديولوجي السافر، وتتحول العولمة إلى وسيلة للتنميط الثقافي المتجه نحو إزالة الخصوصيات لفرض ثقافة الأقطاب العالمية الكبرى على ثقافات باقي الأمم والشعوب في العالم أجمع.

التعريف الإجرائي للعولمة الثقافية :

وبناءً على ما سبق فالعولمة الثقافية هي أحد بل أهم وأخطر أبعاد العولمة وهى كافة الجهود الموجهة نحو طمس الهوية الثقافية وزعزعة الثقة بالنفس وتمزيق وحدة الشعور بالذات وضعف الانتماء وذلك من خلال محاربة القيم والسلوك والعادات والتقاليد وكذلك طمس اللغة العربية الأصيلة (التي تمثل المحور الرئيسي للدراسة) في مجتمعات العالم الثالث ومن بينها المجتمع المصري .

٤ – الانتماء :

يمكن القول أن الانتماء يتكون أصلاً من دوائر متداخلة متحركة ، تحوى مجموعة من العوامل التى تتباعد كلما ابتعدنا عن مركز ما ، جغرافي ، روحي أو بيولوجي (وراثى) ... الخ . ليشكل تجمعاً متناسقاً اجتماعياً اقتصادياً ما في حقبة تاريخية معينة .

وإذا بدأنا بالانتماء الجغرافي ، وحدود السكن فيمكن القول أن لكل منا مدينة أو قرية يسكنها وحي وشارع ومنزل وبيت ؛ فإذا كان بيتي في شارع في مدينة معينة فهذا يعنى انتمائي إلى هذه المدينة وهذا الشارع ، الذي بدوره حتماً سيكون في دولة أو بقعة جغرافية ما ، ولنضرب مثال على ذلك بمصر فمصر هذا البلد الذي ينتمي إلى وحدة جغرافية أكبر تسمى المشرق العربي الذي بدوره ينتمي إلى وحدة أكبر تسمى البلاد العربية وحوض المتوسط فهذه المنطقة الجغرافية تنتمي أيضاً إلى الكرة الأرضية في النهاية فتتفاعل معها سلباً أو إيجاباً ، وهذا الانتماء الكبير الذي يسميه البعض العولمة هو بالنتيجة حقيقة تاريخية قديمة قدم الإنسان ، وليست وليدة العصر الحديث ؛ فكلنا ننتمي إلى عالم واحد شئنا ذلك أم أبينا ، لذلك فإن هذا الانتماء لابد له من أن يكون الحافز والمحرك للنهوض بالإنسانية نحو مستقبل أفضل بدلاً من أن يكون دعوة إلى التقوقع والتحجر في لحظة تاريخية معينة أو بقعة جغرافية ضيقة . [أنظر : إلهامي عبد العزيز إمام (١٩٨٣) ، ص ٥٤] .

والنسبة للانتماء الروحي فيوجد لدى أي فرد من الأفراد ويتشكل من خلال الإيمان بدين أو فكرة هذه الفكرة التي تسكن وجدانه وتحيط بحياته ، وتصرفاته وطريقته في التعامل في المحيط الذي ينتمي إليه أو يتعامل معه ، والانتماء الروحي للناس يتألف من ألوان طيف متقاربة ومتباعدة كنقطة نور وانتشار هذا النور في الفضاء ؛ فكثير من المسلمين يختلفون في بعض معتقداتهم ويتشاركون في قواسم مشتركة بينهم وبين المسيحية واليهود ، ويسمون هذا القاسم المشترك الدين السماوي ، وهذا النور الذي يسميه الناس الدين يشترك فيه أيضاً كل الأديان الأخرى له نقطة ارتكاز خارج حدود الجغرافيا فمصدره الغيب والسماء ، ومسكنه قلوب البشر وعقولهم (أفئدتهم) [أنظر : أحمد على كنعان ، مرجع سابق] .

أما الانتماء اللغوي (الثقافي المعرفي) فيمكن القول أن الإيمان يتكون أصلاً من مجموعة أفكار ؛ مما يعنى انتماؤه أصلاً إلى لغة ما ، لأن الوجدان الإنساني والفكر والعقل لابد له من لغة يتكون منها ، لذلك يستند الدين إلى ثقافة معينة ، ولغة محددة تبين للناس الفكر وتوحدهم في ألفاظ مشتركة ودلالات متقاربة ، لذا فإن

الاختلاف اللغوي (باللهجة أو النطق) لأمر معروف ومشترك لا يمكن أن يشكل عاملاً سلبياً في بناء الحضارة الإنسانية ، إلا إذا كان مشروعاً تقسيمياً ، الهدف منه التقوقع ونبذ الآخر ، أما الانتماء العائلي (البيولوجي) فمجموع الناس تتكون من عائلات وأنساب ، ونرى العديد من الشعوب التي مازالت تعتمد على هذا التقسيم لتحدد موقعها بين الناس . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٥٤] .

ولذلك فبالرغم من أن الإنسان ينتمي إلى عائلة وعشيرة إلا أن ذلك يجب أن لا يكون سبيلاً إلى التفرقة والتمييز ، بل لابد لنا من الإيمان أننا ننتمي جميعاً إلى عائلة واحدة في النهاية ؛ فيكون هذا الانتماء حلقة في سلسلة تجمع كل الناس فكلنا بنى آدم ، وهذا النوع من الانتماء (العائلي) الكلى هو الانتماء الثابت الذي لا يتغير . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٥٥] .

إن الانتماء بكل مظاهره (الجغرافي – الروحي – الثقافي) وإن كان متحركاً فينظر البعض إلى أن تحركه يحتاج إلى أجيال وعقود وهجرات وتغيير في المنطلقات والثواب مما يجعله ثابتاً إلى حد ما في حياة الفرد القصيرة وشبه ثابت في حياة المجموعات البشرية التي قد تمتد لآلاف السنين ، ولا يتغير إلا في حالات الهجرة والانتقال ، بالإضافة إلى هذا الانتماء فيتكون عند الإنسان انتماءات متعددة كالانتماء إلى عدد من الجمعيات والنوادي والتيارات الفكرية أو الاقتصادية ولكل منها مركز ومحيط ولكن جميع الدوائر هذه متداخلة فيما بينها . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٥٥] .

ولذلك فكل ما تقدم من انتماء للناس يتمحور حول نقطة ارتكاز محددة تحدد انتماء الفرد إلى مجموعة ما تعتبر ثابتة إلى حد ما ، إلا أن الانتماء الاقتصادي الذي لا يتمحور إلا على نقطة ارتكاز اجتماعية اقتصادية متحولة أو متغيرة أصلاً بشكل سريع لذلك لم تتمكن الحركة الشيوعية العالمية من تأصيل الانتماء لجميع شعوب أوروبا وآسيا وغيرها في هذه الحركة لأنها اعتمدت الانتماء على أساس اقتصادي فقط وهو أساس متغير أصلاً والوحدة الأوروبية سيكون لها نفس المصير إن لم تتجاوز هذه

الوحدة الاقتصادية إلى وحدة مركزية في دولة موحدة جغرافياً ولغوياً وفكرياً وقيمياً وثقافياً تخضع لقانون واحد ودستور موحد ، ولذلك فاللغة هي من أهم عوامل الاجتماع والتفرق لأنها الأداة التي يتكون منها العقل الاجتماعي بين الناس . [أنظر : محمد عمارة (١٩٨٥) ، مرجع سابق ، ص ١٤٣] .

وعلى أساس الانتماء الاقتصادي تأسست عبر العصور العديد من الإمبراطوريات التي ما لبثت أن اضمحلت وزالت ولكن على أساس الانتماء الديني الثقافي تأسست عبر العصور العديد من الإمبراطوريات التي صمدت لوقت طويل ولا تزال موجودة في أذهان الناس وعقولهم ، فجمعت في بقعة جغرافية معينة أو في حيز فكرى ما سمي بشعب هذه الإمبراطورية ، وبسطت عليها سلطتها الاقتصادية والدينية، ولكن ضمن حدود هذه الدول الجغرافية بقى العديد من الجماعات التي لم تنخرط في هذا الدين ، ولم تستطع هذه الدولة الدينية أن تجمع كل من كان على أرضها إلا على انتماء واحد وهو أنهم جميعهم أبناء هذه الدولة ومواطنيها يخضعون لحكم هذه الدولة وقانونها مهما كان شكل هذا القانون ولونه هذا القانون الذي لابد أنه وضع بلغة ما وكان في النهاية ما يميزهم عن كل ما حوته هذه الدولة من ممتلكات وأراضي ومباني ومقتنيات بأنهم أبناء أمة واحدة ويشتركون مع كل البشر المتواجدين على أرض هذه الدولة بالإنسانية .

ولذلك فالانتماء إن كان جغرافياً أو دينياً أو ثقافياً فإن الانتماء الثابت فيه هو الانتماء البيولوجي (الوراثى) لآدم والانتماء الثقافي الإيماني بخالق واحد لهذا الكون، لكنه يحتاج في النهاية إلى انتماء اقتصادي اجتماعي ما يؤمن لمن ينتمون لهذه المجموعات إمكانية الاستمرار ، كما يحتاج إلى قانون يحكم علاقة الناس بعضهم مع بعض وعلاقتهم بالدولة ويساوى بين مواطنيها . [أنظر : إلهامي عبد العزيز إمام ، مرجع سابق ، ص ٥٦] .

التعريف الإجرائي للانتماء :

يعد الانتماء في ضوء ما سبق حركة لتجميع الأمة ، وهو لا يأتي من فراغ بل إنه فطرة تتبلور بتلقي الإنسان للمعلومات والقيم واللغة والأفكار وغيرها من المقومات الاجتماعية والثقافية التي يكتسبها من بيئته بطريقة تراكمية ، وهو العلاقة الإيجابية والحياتية التي تؤدى إلى التحقيق المتبادل والارتقاء إلى العطاء بلا حدود الذي يصل إلى حد التضحية ، وهو ضرورة لاستقرار شعور الفرد وشعوره بالأمن ، ويتجلى الانتماء بصورة عالية عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي ولذلك فهو مرتبط بالولاء والهوية والمواطنة .

الرؤية النظرية للدراسة :

يمثل منظور تداول الثقافات الذي توصل إليه بتريم سوروكين P. Sorokin نتيجة لدراساته الواقعية وتحليلاته التاريخية الثاقبة المنظور الشافي لتلك العثرات النظرية التي عانت منها العلوم الاجتماعية طويلاً ، وهو يعد من أفضل الأطر النظرية التي تضع عالم اليوم في سياقه التاريخي الصحيح مما يقدم لنا خريطة فكرية تتضح بها معالم الطريق في خضم تحديات العولمة التي نشهدها حالياً .

لذا تحاول الدراسة الراهنة إلقاء الضوء على الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية في مواجهة التحولات الثقافية المعاصرة التي أفرزتها ظاهرة العولمة انطلاقاً من ذلك المنظور البنائي الثقافي التاريخي الذي قدمه سوروكين والذي نظن أنه يضمن للدراسة قدرة تفسيرية عالية تتجاوز النظريات الاختزالية الجزئية من ناحية ، كما تتجاوز الرؤى اللاتاريخية المعاصرة من ناحية أخرى . [أنظر : Sorokin, P. (1985) P.18] .

فالنظم الاجتماعية والأطر الثقافية إنما هي محصلة لاختزال أبعاد حضارية ثقافية ذات أبعاد تاريخية لا يمكن إغفالها بأي صورة من الصور إذا أردنا وضع قضايا الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية في مجتمعاتنا العربية ومنها المجتمع المصري في إطارها الصحيح ، وإذا أردنا أن نتجنب النظرة الميكروسكوبية التي

تتعرض لمثل تلك القضايا والتي تضيق صدراً بالمواجهة التكاملية المتعمقة لأهم القضايا والمشكلات ذات الجذور العالمية والثقافية .

ولذلك قام سوروكين بدراسته الحضارية الكبرى والتي نشرت نتائجها بعنوان: التحولات الاجتماعية والثقافية عام ١٩٥٧ وهى تعد من أهم وأثرى الدراسات حيث قام فيها بتتبع التحولات الثقافية والاجتماعية التي تناوبت على المجتمعات الغربية مع المقارنة بحضارات الشرق الأوسط . ويعتبر ذلك من أنسب الأطر النظرية لتحليل قضايا الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية وخاصة في مجتمعنا المصري ؛ فقد نجح ذلك الاتجاه النظري في وضع الحضارة الغربية المعاصرة الفاعلة والمؤثرة على مجتمعاتنا وخاصة فيما يتعلق بقضية الهوية الثقافية التي نشهدها اليوم موضعها الصحيح على خريطة التوجهات المادية والروحية ، وبهذا مهّد الطريق لتوصيف مجتمعاتنا ووضع النقاط فوق الحروف فيما يتعلق بموقعنا من تأثيرات العولمة من خلال المنظمات الدولية الرسمية وغير الرسمية لمحاولة تشكيل هوية ثقافية وفقاً لأجنداتها المعلنة وغير المعلنة ، كما يضع الأساس المنطقي لفهم الهوية الثقافية واللغة العربية في ظل عالم يتخبط بالتيارات والمؤثرات وكافة التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية . وفى هذا الصدد يرى سوروكين أن أي هوية لثقافة أو حضارة إنما هي كل متكامل تنتظم مكوناتها حول مبدأ رئيسي يتمثل في قيمة أولية محورية تحدد نظرة تلك الثقافة وتصورها للوجود وتكوّن إطاراً عاماً لقيمها الأخلاقية والاجتماعية وتتشكل اللغة والأعراف والقوانين وألوان السلوك المقبول وغير المقبول في إطارها . [أنظر: Sorokin, P. (1992) P.25] .

وقد أكد سوروكين في دراسته للمجتمعات والحضارات على أن هناك نوعين أساسيين من الثقافات لكل منهما جوانبه المميزة وتتمثل هذه الأنماط الثقافية فيما يلي :

أ - الثقافة الروحية : وهي التي تتميز بالأصالة والهوية والموروثات وهى الحقيقة المطلقة والمبدأ الأسمى المتجاوز للمحسوس وللعقول البشرية وهذه الثقافة على حد تعبير سوروكين تمثل أصل وجود الإنسان .

ب – الثقافة المادية (الحسية) : وهى المتعلقة بالحداثة أو المعاصرة الناتجة عن المتغيرات البيئية ، وفيها يحاول الإنسان استغلال البيئة بكل الطرق من أجل إشباع حاجاته بطريقة طفيلية ، وهى مرحلة البحث عن اللذات الحسية وينتهي المطاف بالثقافة الحس المادية إلى مرحلة أخيرة أسماها سوروكين بالمرحلة الهزئية Cynical Sensate Culture وهى مرحلة ناتجة عن الإفراط في الحداثة والتقليد الأعمى للغرب حيث تتميز هذه المرحلة بالافتقار إلى أي نوع من الهوية والانتماء وتشيع فيها النفعية والعدمية Nihilistic حيث يشبع فيها الناس حاجاتهم بطريقة نفعية مع التظاهر الشكلي بهويتهم الثقافية ، كما تتدنى قيمة الإنسان في هذه المرحلة ولم يبق إلا أن ينظر إليه على أنه كائن بيولوجي فحسب لا هوية له ولا لغة تميزانه عن غيره من الكائنات الحية .

ولقد تنبأ سوروكين باشتداد تلك الأزمة التي واجهتها الحضارة الغربية في القرن العشرين في مختلف جوانب الحياة في المستقبل نتيجة الإفراط في الحداثة اللهم إلا إذا أعادت تلك الحضارة إلى رشدها باستعادة هويتها الأصيلة الموروثة لتتكامل مع ما تعتد به اليوم من الجوانب المادية . [أنظر : على الكنز ، مرجع سابق، ص ٢٤].

ويمكن القول أنه إذا كانت الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية تشهد هذا الاهتمام في الواقع الراهن ، فإن التحولات المستقبلية وموجات العولمة تدفع إلى مناقشة تلك القضية خاصة في ضوء الجدل القائم حول انعكاساتها من خلال اتجاهين :

حيث يرى الاتجاه الأول أن العولمة بانعكاساتها المتعددة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية سوف تؤدى إلى مزيد من إضعاف الهوية الثقافية ، وبالتالي إضعاف اللغة العربية ، وينطلق هذا الاتجاه بالضرورة من تباين تأثيرات العولمة ، ويتعاظم هذا التأثير خاصة في الدول النامية حيث تعمل آلياتها في ظل الموروثات الثقافية والاجتماعية المتمثلة في انخفاض المستوى الثقافي في هذه المجتمعات بوجه عام .

أما الاتجاه الآخر فيؤكد على عالمية الثقافة فيرى أن انعكاسات العولمة سوف تكون لصالح الهوية الثقافية .

ولذلك فإن التحدي الأكبر الذي يواجه مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم يتمثل في كيفية الحفاظ على هويتها الثقافية الأقرب بطبيعتها إلى النمط المثالي الذي يرى الحقيقة في صورتها التكاملية التي يطلق عليها سوروكين النظرية التكاملية للحقيقة والواقع Integral Theory of Truth and Reality [أنظر: المرجع السابق ، ص ٢٥] .

لذلك تتوجه الدراسة الراهنة من وجهة النظر القائمة على النقاط التالية :

١ - تتمتع المجتمعات العربية والإسلامية بهوية ثقافية أصيلة موروثة لا تنفصل عن عقيدة هذه المجتمعات .

٢ - تمتاز الهوية الثقافية الأصيلة بالمرونة والتأقلم مع التطورات التي حدثت وخاصة التطورات العلمية وأضافت إليها دون أن تفقد خصوصيتها .

٣ - هناك موجات متنوعة من الهجمات المتتالية لإذابة هذه المجتمعات في الهوية الثقافية الخاصة بالأمم المسيطرة لفرض النموذج الغربي على العالم أجمع . ولاسيما العالم العربي والإسلامي وخاصة في أهم مقوماته وهو اللغة العربية الأصيلة ، ويبرز ذلك بوضوح في ظل عصر العولمة الذي نشهده اليوم مما أدى إلى وجود صراع داخلي وخارجي في المجتمعات العربية والإسلامية بين التمسك بالأصالة والموروثات وبين الإذابة في ثقافة الآخر في ظل الاختراق الثقافي الراهن .

الإطار المنهجي للدراسة :

تعد الدراسة التحليلية من الدراسات الأكثر ملاءمة لطبيعة دراستنا الراهنة التي تحاول أن تُصوّر وتحلل طبيعة الهوية الثقافية وعلاقتها بمأزق اللغة العربية في المجتمع المصري وخاصة في ظل تداعيات العولمة ، ولذلك فالدراسة الراهنة لا تركز على مجرد رصد للظاهرة وليس مجرد توصيف للواقع ولكن استشرافاً وتوقعاً للمستقبل أيضاً .

وقد وقع الاختيار العمدي في هذه الدراسة على تحليل واقع مرحلة التعليم الأساسي وخاصة فى مستوياته (الإبتدائي - الإعدادي) لأن هذه المرحلة تعد من أكثر المراحل التي يتميز فيها الطلاب بالقدرة على الفهم والاستيعاب وحب الاستطلاع والتقليد ، هذا فضلاً عن أن هذه المرحلة من التعليم تمثل شريحة متميزة من بين المجتمع من حيث تأثر وتفاعل طلابها مع الوسائط الاجتماعية والثقافية المتعددة ، كما يتعرض فيها مختلف الطلاب لأنواع متعددة من التناقضات نتيجة لما تتميز به من طبيعة تلك المرحلة وخاصة في ظل التحديات الراهنة .

وبناء على ذلك فقد تم جمع البيانات من خلال إجراء مقابلات مفتوحة على عينة عمدية من موجهي اللغة العربية حجمها (٥٠) حالة ، وقد كان ذلك لأهداف متعددة أهمها طبيعة الموضوع والذي يصعب تغطيته إلا من خلال تلك الفئة التي تعد أكثر خبرة بقواعد وأساسيات اللغة العربية السليمة وذلك من خلال الاحتكاك المباشر بطلاب هذه المرحلة التعليمية بكافة مستوياتها ، وكذلك مدى التفاعل مع القائمين بتدريس مادة اللغة العربية ، والتعرف على كيفية توصيل أصول اللغة العربية السليمة لطلاب تلك المرحلة ، بالإضافة إلى أنهم أكثر إدراكاً بطبيعة المشكلات التي تواجهها اللغة العربية لوعيهم بأساسياتها وبالتغييرات المتلاحقة التي قد تطرأ عليها مما يؤثر على اهتزاز لوضعيتها وطمس لمعالمها ، وقد طبقت الدراسة في مدينتين هما : الإسكندرية وطنطا للتعرف على وجهة نظر موجهي اللغة العربية إزاء هذه القضية بالتفصيل ، ولم يكن من اهتمامات الدراسة الراهنة عقد مقارنات لقضية الهوية الثقافية وأزمة اللغة العربية بين ريف وحضر المجتمع المصري .

وقد وقع الاختيار على هاتين المدينتين لعدة أسباب منها :

١ - تتوافر فيهما متطلبات الدراسة من حيث ارتفاع أعداد المدارس الخاصة بمرحلة التعليم الأساسي بمختلف مستوياتها .

٢ - هاتان المدينتان لم يسبق دراستهما من قبل وخاصة فيما يتعلق بتلك القضية .

٣ - هاتان المدينتان تمثلان موطن ونشأة وإقامة الباحثتين وهما بذلك تدركان عن قرب ظروفهما وأهم مشكلاتهما ، وما يقع فيهما من تفاعلات وتغييرات ، وربما يكون ذلك مأخوذاً عليه احتمالات التحيز والفهم الذاتي للأمور وصعوبة فصل الباحثتين في هذه الدراسة بين دورهما كباحثتين ودورهما كأحد أفراد مجتمع الدراسة .

٤ - ولقد ساعد هذا الاختيار على تفادى مشكلات كثيرة كان يمكن أن تهدد سير الدراسة، بالإضافة إلى معرفة الباحثتين بهاتين المدينتين مما سهّل فرص إجراء المقابلات والحوارات مع عينة الدراسة من موجهي اللغة العربية .

ولذا اعتمدت الدراسة على دليل المقابلة كمادة رئيسية لجمع البيانات والذي صيغ بلغة عربية سليمة تتلاءم مع الخبرة والمستوى اللغوي اللذين تتمتع بهما عينة الدراسة من موجهي اللغة العربية .

وقد سعت الدراسة إلى التحليل الكيفي من واقع البيانات المستمدة من المقابلات المفتوحة المتعمقة مع عينة الدراسة للتعرف على هذه القضية .

ويتكون دليل المقابلة من عدة محاور أهمها :

- المقصود بالهوية الثقافية وأهم مكوناتها .
- الوعى بأهمية اللغة العربية ومظاهر أصالتها .
- اللغة العربية وقضية الانتماء .
- صورة اللغة العربية في مدارسنا المصرية اليوم .
- المخاطر التي تواجه اللغة العربية في ظل العولمة .
- وأخيراً مستقبل اللغة العربية إلى أين ؟

محاور الدراسة :

المحور الأول :

التعريف بالهوية الثقافية ومكوناتها الرئيسية :

- تعريف بالهوية الثقافية :

من خلال بيانات المقابلات غير المقننة مع السادة موجهي اللغة العربية (عينة البحث) فقد اتضح أن هناك اتفاقاً عاماً حول أن الهوية الثقافية تشير في أبسط معانيها إلى تلك السمات المشتركة التي تميز بها جماعة معينة نفسها وتعتز بها ؛ فالهوية تتألف من منظومة متماسكة في السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة ولها الصفتان الرئيسيتان وهما :

أ – أنها تميز الجماعة عن غيرها .

ب – أنها موضع اعتزاز الجماعة .

فلا يشك أحد في أهمية الهوية الثقافية لكل فرد ومجتمع وأمة ذلك لأن هذه الهوية (كما أشرنا في الإطار النظري من دراستنا الراهنة) هي التي تعطى للفرد قيمته وللمجتمع كيانه وللأمة تماسكها وبقاءها ، والهوية الثقافية هي الجانب المعنوي الأهم في مختلف الكيانات سواء الفرد أو المجتمع أو الأمة ، ولم تزل تعنى الأمم بهوياتها الثقافية وتتمسك بها حتى أنها تُحيى القديم المندثر منها لتجد نفسها وتحقق معنى حياتها ويُدوّن تواجدها في واقع الحياة .

والأمة العربية أمة مجيدة لها هويتها الثقافية المميزة ، ولم تزل هذه الهوية صامدة على الرغم مما واجهتها ولا تزال تواجهها من مصاعب ونكبات على مر التاريخ ، تلك المصاعب والهزائم والنكسات التي جعلت فريقاً من أبناء الأمة العربية المنتمين لهويتها يزهدون بها ويتخلون عنها . [أنظر : على الكنز ، مرجع سابق ، ص ٢٠] .

ولعل أول ما يواجهنا في طرح هذه القضية ، الإشكالية التي حدثت في العصور المتأخرة حول حقيقة الهوية الثقافية فقد وجدنا في هذا الصدد أن أطروحات المفكرين العرب تتباين في قضية الهوية الثقافية وفقاً للتوجهات الفكرية والمناهج العقلية التي ينتهجونها والتي قد تصل أحياناً إلى حد التنافر والتناقض ، ذلك أن جملة من المنتسبين للهوية الثقافية العربية تتوزعهم مدارس فكرية مختلفة ومناهج متنوعة . [أنظر : سليمان نجم خلف ، مرجع سابق ، ص ٢٦] .

ومع مرور الزمن انتقلت تلك التناقضات والانحرافات التي استوطنت الأمة العربية إلى ثقافتها حتى اعتبرها البعض جزءاً لا يتجزأ من هوية الأمة ، إما للجهل بحقيقتها ومنشئها أو لهدف ما يسعون لتحقيقه ، بالإضافة إلى حقيقة جوهرية وهى أن الأوضاع المتباينة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات العربية كان لها دور كبير في تباين الأطروحات والرؤى الفكرية المتعلقة بقضية الهوية الثقافية . [أنظر : حيدر إبراهيم ، مرجع سابق ، ص ٩٩] .

إن الهوية الثقافية العربية قضية لا يختلف عليها اثنان ؛ فمع أننا نجد أن بعض المثقفين في العالم العربي يطرح هذه القضية طرحاً مختزلاً ينفى عن الأمة أهم صفة من صفاتها ، بل حقيقة وجودها من خلال رفضه لهويتها ، إلا أننا نرده إلى الظروف التي قد تكون فرضت تلك الرؤية وأوجدت ذلك الخلل السابق كالهزائم العسكرية والمعنوية التي بليت بها الأمة العربية ، إضافة إلى التخلف المادي والتقني في مواجهة الطفرة العلمية والاكتشافات التي جعلت البعض يعتقد أن السبيل إلى تحقيق النهوض بالأمة من كبوتها واللحاق بركب الحضارة والحداثة هو بالتخلي عن الهوية الثقافية ، وفريق آخر يدعو إلى إيجاد بديل للهوية الثقافية ويمثل هجنة ثقافية أو فكرية، ومنهم المتناقض في طرحه الذي يرى أن الهوية غير ثابتة بل يجب أن تتغير إذا أُريد لها البقاء .

وعلى الرغم من كل هذه الاتجاهات والرؤى الأيديولوجية المتناقضة إلا أننا لابد وأن ندرك جيداً أن قضية الهوية الثقافية قضية محورية وأساسية في حياة الأفراد

والجماعات والأمم ؛ إذ من خلالها نتمكن من العيش والمحافظة على وجودنا ، وبدونها يتحول الإنسان إلى كائن تافه فارغ مُقلد لا قيمة له ولا ثقافة له ؛ فمن خلال الهوية الثقافية يعرف الأفراد والأمة أهدافهم التي يريدونها والأسلوب الذي يتوصلون به إلى تحقيق تلك الأهداف .

فالهوية الثقافية في حقيقتها ليست مجرد تعريف لغوى بل هي معايير للعقل والسلوك ، واللغة تحدد معنى الحياة التي لا مغزى لها بدون هذه المعايير وغايات الحياة التي لا غاية لها بدونها . [أنظر : محمد عمارة (١٩٩٩) ، مرجع سابق ، ص ٩] .

يتضح من كل ما سبق أن الهوية الثقافية ما هي إلا أنها تلك الحصيلة المشتركة من الدين واللغة والمعرفة والعمل والفن والأدب والتراث والقيم والتقاليد والأخلاق والتاريخ والوجدان ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات ، وليست هذه العناصر ثابتة بل متحركة ومتطورة أبداً باعتبارها مشروعاً مستقبلياً يواكب مستجدات العصر ، وهى قابلة للتأثير والتأثر وكما يوجد قدر كبير من الثقافة إنساني مشترك ، نتيجة التواصل والتفاعل بين ثقافات الأمم المختلفة ، بقدر ما يوجد قدر كبير خاص يحفظ هوية أي مجتمع من المجتمعات ، وتمثل اللغة أخص خصائص الهوية الثقافية وتتفق هذه النتيجة مع أهم عناصر التوجه النظري الخاص بالدراسة الراهنة والمتمثل في حقيقة أساسية مفادها أن المجتمعات العربية تتمتع بهوية ثقافية أصيلة موروثة لا تنفصل عن عقيدة هذه المجتمعات ، وأن هذه الهوية الثقافية تمتاز بالمرونة والتأقلم مع التطورات الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية دون أن تفقد خصوصيتها .

كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة انجلهارت بعنوان : الحداثة وما بعد الحداثة عام (١٩٩٧) التي أوضحت انقسام العالم إلى ثماني حضارات أو مناطق ثقافية تتمايز وفقاً لتراثها الديني ولهويتها الثقافية ، وأنه رغم الحداثة والتطور الصناعي الهائل طوال القرن العشرين فإن كافة الحضارات لها هويتها الثقافية التي تتأثر بدرجات متفاوتة بالحداثة . [أنظر : Inglehart R. (1997) P.45] .

وأيضاً تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة مريم إبراهيم الشرقاوي بعنوان : أساليب تعزيز الهوية في مواجهة الهيمنة الثقافية عام (٢٠٠٢) التي أوضحت أن الهوية الثقافية تعد جزءاً أساسياً من الهوية القومية ، وأن تفاعل الأصالة والمعاصرة هو مطلب ضروري لحركة التنمية وخاصة في ظل تحديات العولمة التي نشهدها حالياً . [أنظر : مريم إبراهيم الشرقاوي ، (٢٠٠٢)] .

- مكونات الهوية الثقافية :

إن الحديث حول مكونات الهوية الثقافية العربية حديث يحتاج إلى مجال واسع ؛ فهذه واحدة من أغنى ثقافات العالم ولأصحابها تاريخ طويل ، وقد ساهم أصحاب هذه الثقافة خلال هذا التاريخ الطويل في إغنائها وتطويرها ، والثقافة بالمعنى الواسع تشتمل على كل ما له صلة بتنظيم حياة الفرد من المهد إلى اللحد ، وبغض النظر عن المستوى الذي وصلت إليه الثقافة فكل واحدة لها مكونات أربعة هي : نسق للقيم ، ونسق للمعتقدات وعناصر معرفية وعناصر رمزية ، والثقافة الغنية المتطورة هي الثقافة التي تكاملت فيها مكونات هذه العناصر كما في الثقافة العربية [أنظر : على الكنز ، مرجع سابق ، ص ٣٤] . فالمعتقد الديني موجود ولا يحتاج إلى تغيير أو تحديث ، ولا يعنى ذلك أن باب الاجتهاد قد أغلق ، ولكنه مطلوب على مستوى التفسير الذي يفترض أن يتناسب مع ظروف ومعطيات العصر ويأخذ في الحسبان التطور الذي يحدث في العناصر المعرفية على المستوى الدولي ، والعناصر الرمزية والتي تعنى اللغة بصفة خاصة فيحق للعرب أن يفتخروا بها فاللغة العربية غنية بمفرداتها وبقواعدها وبإمكانية تطورها ومسايرتها لروح العصر ، والنسق القيمي العربي لم يترك شاردة ولا واردة من القضايا التي تتعلق بتنظيم حياة اجتماعية سليمة بغض النظر عن نمط الاستيطان وزمانه أما العناصر المعرفية فهي تشير بصفة خاصة للكيفية التي تنظم بها الثقافة المعارف في المجالات المختلفة ، ولقد ساهم العرب تاريخياً بنصيب كبير في تطوير المعارف العلمية وأخذ الغرب عنهم ، ومع أن التطور العلمي يستفيد منه جميع أفراد البشر إلا أن الظروف التي مر بها المجتمع العربي ساهمت في تخلفهم نسبياً عن مواكبة ركب التقدم [أنظر : محمد بن سعد التميمي ، مرجع سابق ، ص ٢٦] . وهذا التخلف

يمكن أن يزول أو تخف حدته نظرياً وخصوصاً بعد الانتشار الواسع للتعليم ، لكنه أمر لم يحدث عملياً بعد ، لتوفر عدد من الأسباب الجوهرية من بينها نظام ومكونات العملية التعليمية وخاصة فيما يتعلق باستخدام اللغة العربية والأخذ بأسباب المنهج العلمي في التفكير وطبيعة العلاقة مع الثقافات الأخرى .

أما فيما يتعلق بالدراسة الميدانية ؛ فقد اتضح من خلال المقابلات التي تمت مع السادة موجهي اللغة العربية أن هناك تبايناً في الأهمية النسبية لمكونات الهوية الثقافية العربية الأربعة حيث جاءت اللغة العربية في المقدمة تليها القيم التي احتلت المرتبة الثانية ، ثم المعتقدات حيث جاءت فى المرتبة الثالثة ، وأخيراً مثلت المعارف في المجالات المختلفة المرتبة الرابعة والأخيرة من مكونات الهوية الثقافية العربية .

وتتفق هذه النتيجة مع التوجه النظرى للدراسة وخاصة فيما يتعلق بوجهة نظر سوروكين التي تؤكد أن أي هوية لثقافة أو حضارة إنما هي كل متكامل تنتظم مكوناتها حول مبدأ رئيسي يتمثل في قيمة أولية محورية تحدد نظرة تلك الثقافة وتصورها للوجود وتُكوّن إطاراً عاماً لقيمها الاجتماعية والأخلاقية ومن ثم تتشكل اللغة والقيم والمعتقدات والمعارف المختلفة وسائر المقومات الاجتماعية والثقافية الأخرى [أنظر : Sorokin, P. (1985), op.cit., P. 22] .

يتضح مما سبق أن اللغة العربية هي أبرز مكونات الهوية الثقافية العربية على اعتبار أن اللغة هي أهم أدوات العملية الاجتماعية وأدوات صناعة الإنسان ؛ فاللغة هي الواسطة التي تجعل من الأمة مجتمعاً متخيلاً ، وتربط الفرد في وقت وحيز اجتماعي معين مع أبناء أمته ممن لم يراهم أو يقابلهم ولكن هذا لا يمنع وجود من يقلل من أهمية اللغة أو يعدها مجرد عامل بين عوامل أكثر أهمية .

ويدل ما سبق على أن اللغة ومنذ فجر التاريخ كانت مقياساً لتمييز أمم لنفسها عن الآخرين ، فمثلاً قام اليونان بتمييز أنفسهم عن البربر باعتبار الآخرين لا يتحدثون اليونانية ، وقام اليهود في الأندلس باستخدام العبرية لتسجيل أمور دينهم ، في حين قام الأطباء اليهود في بولندا باستخدام مصطلحات طبية عربية بدل اللاتينية التي كان يستخدمها الأطباء المسيحيون مما قد يكون نوعاً من السعي للتميز الإثنى .

المحور الثاني :

الوعى بأهمية اللغة العربية ومظاهر أصالتها :

- الأهمية الاجتماعية للغة العربية :

تعد اللغة عملة أبدية أزلية متداولة بين الناس ، وإذا كانت الدول تنشئ القوانين ، وتسن التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تصان اللغة من التدنيس والتدليس ، حتى لا يتعرض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس واللغة العربية باعتبارها مُكوّن ارتكازي من مكونات الثقافة العربية وعنوان هوية المجتمع العربي والإسلامي وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال فإنها تنقل آثار الأجداد إلى الأبناء وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد وتعتبر ضرورة لبناء مهارات التواصل الإنساني ، وهى محورية وأساسية في تشكيل منظومة الثقافة لارتباطها بجملة مكونات متعددة من فكر وإبداع وتربية وتراث وقيم المجتمع العربي والإسلامي ، [أنظر : عبد الله أبو هيف ، مرجع سابق ، ص ٤١٨] .

وتحظى اللغة في أي مجتمع بأهمية بالغة بالنظر إلى الدور الذي تمارسه في التواصل الاجتماعي ؛ فهي عالم رحب ووطن فسيح يُمارس من خلاله الإنسان حرية التعبير والتفكير ؛ فاللغة تعد رداء الفكر ، وكل تطور يحدث في المجتمع يتردد صداه من خلال مؤسسة اللغة باعتبارها الناطق الرسمي باسم الأمة ، والمُعبّر عن أصالتها وهويتها ، ولذلك تعتبر اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب لأنها أداة الحاضر وصورة التاريخ ، ومنها تُقتبس الألوان الحضارية والاجتماعية الدالة على مجارى الأمور ومصائر الأقوام واللغة العربية ليست بدعاً من اللغات ، وإنما هي أصدقها شاهداً على هذا الانعكاس والتأثر ولذلك فاللغة العربية أولى من غيرها بموفور الرعاية وبالغ العناية لأنها حاملة كلام الله عز وجل وحاضنة تراثنا الفني ، وناقلة تاريخ الأمة المجيد إلى الأجيال ؛ فهي الجسر الذي يصل بين الأجيال والحضارات المتعاقبة وبالنظر لهذا الدور الذي تمتاز به اللغة العربية لابد من توليها بالتحديث والتطوير حتى تكون دائماً في مستوى التحديات التي يحفل بها العالم في الوقت الراهن . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ١٨] .

ومن ثم فحياة اللغة العربية وحيويتها رهن استعمالنا لها ، وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا ، ولا يتحقق ذلك إلا بقدر ممارستنا الصحيحة لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة ، وإبقاؤها لغة تواصل بين كل العرب رهين جمعنا لشتات معطياتها وتجسيمها في وسائل عمل متجددة وسعينا المتواصل على متابعة تطورها ونعهده .

ولعل خير توصيف لأهمية اللغة ما قاله في حقها أحد موجهي اللغة العربية على لسان شاعر صقلية اجنازيو بوتيتا E. Butita "إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل ، وتسد أفواهها ، وتشرد من بيوتها ويظلون مع ذلك أغنياء ؛ فالشعب يفتقر ويستعبد ما إن يُسلب اللسان الذي تركه له الأجداد ، عندئذ يضيع إلى الأبد فأي أمة لا تستطيع البقاء دون لسان يعبر عن ذاتها" . [أنظر : أحمد بن محمد الضبيب ، مرجع سابق ، ص ١٦٩] .

ومن منطلق ما سبق فقد أسفرت نتائج المقابلات المتعمقة مع المبحوثين عن وجود إتفاق عام على أنه بواسطة اللغة يتم توصيل ما تفكر فيه الذات داخلياً إلى موضوع يعيه من هم بخارجها ؛ فاللغة من وجهة نظرهم تتجلى أهميتها في أنها هي الرابطة الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان ، وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله : "أن اللغة هي التي تعطى قيمة حقيقية للإنسان ومن هنا تتأكد الحقيقة التي توضح أن الإنسان جسم وروح ولغة" .

فمسلسل الحياة اليومية لا يمكن كتابة حلقاته وتصميمها بشكل مترابط في غياب لغة تشكل أداة التفاهم والتواصل والتفاعل ؛ مما يجعل من اللغة ضرورة حضارية ولازمة إنسانية ، وظاهرة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في صيرورة حياة المجتمع ، وهذا يقتضى بذل مزيد من الجهد والعناية لجعل اللغة تستجيب لحركية التحولات التي يشهدها واقع مجتمعنا العربي الراهن .

- مظاهر أصالة اللغة العربية :

إن اللغة العربية تعد حاضن تجارب الأمة الثقافية والحضارية والمدنية

عموما، فهي ذاكرة الأمة ، وخزان تراثها ومفاهيمها وقيمها ، وهى وسيلة مهمة في تطور الأمة وتجديد كيانها المعاصر ، من خلال استفادتها من تجارب الأمم الأخرى وإقامتها الحوار البناء مع الحضارات ، وتفاعلها معها دون تفريط في كيانها المميز . [أنظر : محمد رشيد ناصر ذوق ، مرجع سابق ، ص ١٩] .

واللغة العربية – كما سبق أن أوضحنا – هي العنصر الرئيسي للهوية القومية فهي التي تعكس عبر مسيرتها الطويلة تجارب الأمة في مختلف مظاهر حياتها الفكرية والعملية والأدبية والفنية والسياسية والاقتصادية ؛ ولذا فإن التنكر للغة يؤدى إلى اجتثاث الشخصية العربية من مسارها التاريخي ، فتصبح ضائعة بلا هوية .

وقد اتضح من تحليل البيانات من خلال المقابلات التي أجريتها الباحثتان مع السادة موجهي اللغة العربية حيث تبين من إجاباتهم أن أهم ما يميز لغتنا بين اللغات العالمية الحية ما يلي :

١ – إنها لغة قديمة حديثة في آن واحد ، عاصرت اليونانية واللاتينية والفارسية وغيرها من لغات واستطاعت بما تملكه من مرونة وخصائص متنوعة كالترادف والاشتقاق والقياس أن تستمر إلى اليوم ، هذا بالإضافة إلى أنها أفادت من لغات الحضارات العربية القديمة التي قامت قبل الإسلام وهضمت الكثير من معطياتها . [أنظر : ريما سعد الجرف (٢٠٠٤) ، ص ٣٠] .

٢ – كما تتوافر في اللغة العربية خاصية لا نجدها في اللغات الأخرى وهى الديمومة والقوة والقدرة على الانتشار لأنها لغة الدين الإسلامي ، لغة القرآن الكريم (كما سبق وأن اشرنا في مقدمة الدراسة) فكانت هذه المنزلة الدينية ذات الأبعاد الإنسانية والعالمية من أسباب ترسيخ أركانها وتقدير مكانتها . فأصبحت لغة عالمية ؛ إذ استوعبت تجارب أمم وشعوب تميزت بتعدد مصادرها الثقافية والفكرية فعبّر عن كل ذلك الفيض الفكري بكفاءة نادرة ؛ فكانت لغة ضرورية وهامة للمعرفة الإنسانية . [أنظر : المرجع السابق ، ص ٣٢] .

ولقد كانت الحضارة الإسلامية عربية الروح والجوهر والبنية ، لأن العربية هي لسانها الذي عرفت به ، ونقلت عنها الحضارة الغربية باللسان نفسه ، هذا بالإضافة إلى أن العرب استطاعوا بعد أقل من قرن على بداية العصر العباسي أن يدونوا تاريخ الحضارات اليونانية والهندية والفارسية باللغة العربية (مثل ترجمات أرسطو وأفلاطون وكليلة ودمنة والمؤلفات الفلسفية الأخرى) فلو لم يكن أهل اللغة العربية جديرين بهذا الفضل ، ولو لم تكن اللغة العربية قادرة على النقل والترجمة ومتمكنة من ذلك لما أُتيح لهذه الثقافات أن تنتقل إلى تراثنا ؛ فأقام المترجمون جسوراً بين العلوم والأدب والفلسفة الوافدة والأصيلة وتخلصوا من حاجز اللغة وانطلقوا إلى آفاق الابتكار والتجديد والتعديل والإضافة فكانت حركة الترجمة إلى العربية ونقل ثقافات الأمم المجاورة ووجود مراكز علمية تنشر المعرفة والفن في بيئات العراق والشام ، ويعد هذا من أهم مظاهر حيوية هذه اللغة في الماضي .

أما في حياتنا المعاصرة فإن تحقيق الذاتية الثقافية أو تحديد الهوية الثقافية يتوقف على سيادة اللغة العربية في مجالات التربية والتعليم والبحث العلمي عموماً بدءاً بالتعليم الأساسي وانتهاءً بالجامعات ومراكز البحث العلمي ومسئولية تحقيق ذلك تقع على عاتق حملة اللغة العربية ومدرسيها والباحثين فيها على مستوى الوطن العربي الكبير ؛ فمعزل اللغة العربية عن الاستعمال السليم يعد قتل لها والاستهانة بها هو وأدٌ لها ، وإمعان في سياسة التقصير إزاءها ؛ فهذه اللغة هي المُوحّدة للبُنى الدلالية والقومية والشعورية وهذا الأمر يعد عاملاً أساسياً في كونها لغة غنية ، ثرية ، مواكبة للتطور ، فاعلة في الحياة ، متصفة بالنماء ، قادرة على استيعاب معارف العصر ومخترعاته .

والحقيقة أن التراث العربي حافل بمصطلحات العلوم الإنسانية والتطبيقية الأساسية ، وقد استخدمت هذه العلوم في ظل حضارة كانت الوحيدة في العالم القديم ، كذلك فإن جهود مجامع اللغة العربية والجامعات ومراكز البحث لها إسهامات طيبة وفاعلة في إثراء اللغة وبيان مدى أصالتها ، ودليلنا على هذا هو ظهور المعجمات المختلفة المتعلقة بالحروف والعلوم المختلفة ، والتعريب والترجمة والنشر ... الخ ؛

مما يدل على قدرة اللغة العربية على أداء المفاهيم الجديدة المرتبطة بالاستعمال الفعلي في التعبير عن هذه المعارف . [أنظر : عباس محجوب ، مرجع سابق ، ص ١١] .

وقد أكدت نتائج الدراسة من واقع عينة البحث أن تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها ولذلك فإن إلحاق الأقطار العربية بالحضارة الغربية ومواكبتها يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس وإعداد المصطلحات العلمية الموجودة ، وقبل كل ذلك تحديد الهوية الثقافية وتعزيز دورها في المشروع الحضاري العربي الأمل الوحيد المتبقي لنا وبصيص النور في عالم تسوده الظلمة .

وتتفق هذه الآراء مع نتائج دراسة جورجين أيوب بعنوان : تطور ونمو اللغة العربية في القرن العشرين (٢٠٠٢) التي أظهرت أن تاريخ اللغة العربية مرتبط ارتباطاً كبيراً بتاريخ وحضارة وثقافة المجتمعات العربية وأن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة من بين اللغات السامية الأخرى التي تحملت توسعاً مستمراً منذ حوالي ثلاث ألفيات تقريباً [أنظر : Georgine A. (2002) P. 15] .

المحور الثالث :

اللغة العربية وقضية الانتماء :

يمكن القول أنه في القرن الماضي كان يطالعنا في معظم البلاد من يقول أنا مصري ولست عربياً ، أو أنا فينيقي ولست عربياً ... ، وهكذا وقد وصف مظفر النواب حال العرب في القرن العشرين والذي يتمحور حول نقاط أساسية تتمثل في فقدان العرب لقانون كان يحكم بين سكان هذه البلاد لفترة طويلة من الزمن ، وعدم قدرتهم حتى الآن أن يستبدلوه بقانون آخر ، أو بمعنى آخر لم تعد للعرب دولة بالرغم من احتفاظهم بلغة وثقافة يشترك فيها أكبر عدد من السكان ، واحتفاظهم بثقافة متقاربة قد تجعل منهم وحدة اقتصادية اجتماعية ثقافية في المستقبل . [أنظر : إلهامي عبد العزيز إمام ، مرجع سابق ، ص ٤٢] .

والحقيقة أن كل شعوب الأرض هاجرت واستوطنت ولم يعد من شعب أو عائلة أو فرد إلا وينتمي إلى مجموعة هاجرت في حقبة تاريخية ما من مكان جغرافي إلى مكان آخر ، وتزاوجت مع من كانوا في هذه الأرض ومع من هاجروا إليها من أماكن مختلفة فاختلط الجميع في نسب واحد وبقى انتسابهم إلى رجل واحد في بداية التكوين وهو النسب الصحيح والانتماء الصادق ، إذاً فإنهم بتحديدهم انتماءهم الاثنى إنما يعتمدون فقط على الاختلاف اللغوي بين لهجتهم (لغتهم) وباقي اللهجات لتحديد هويتهم .

وقد كشفت المعطيات الميدانية للدراسة الراهنة أن هناك اتفاق عام بين أفراد عينة البحث على أن اللغة العربية لغة متأصلة في وجدان كل الناس بأسمائها المتعددة (آرامية – أكادية – عبرية – سيريانية – عربية ... الخ) ، وان جميع لهجات الناس في العصر الحاضر تتدرج وتختلف من حي لآخر ومن مدينة لأخرى حتى داخل المجتمع أو الدولة الواحدة ، ونستدرك بعدها أنها جميعاً تعود إلى لهجة واحدة في الأصل مما يدل على أن الاختلاف اللغوي لا يشكل عاملاً حاسماً في تحديد الهوية الثقافية .

ولعل من أهم الأدوار التي تقوم بها الهوية الثقافية في المجتمع أنها تحقق الانتماء لذلك المجتمع لدى أبنائه فليس وجودهم ضمن هذا المجتمع وجوداً هامشياً أو عشوائياً بل هو وجود له معناه وقيمته ؛ إذ تُشعر الهوية الثقافية الفرد بحقيقة انتمائه مما ينعكس على أفعال الأعمال والتصرفات والسلوكيات التي يتضح من خلالها حرص الفرد على مجتمعه لأن الرابط الذي يربطه بمجتمعه له قيمته ومعناه مما يدفعه للمحافظة على ذلك المجتمع .

وفى هذا الصدد أكدت معطيات الدراسة الميدانية أيضاً من واقع عينة البحث أن من أهم المشكلات التي تواجه الهوية الثقافية في مجتمعاتنا العربية عموماً ومنها المجتمع المصري اليوم هو ضعف الانتماء وخاصة لدى الأبناء من طلاب مرحلة التعليم الأساسي إذ يغلب الانتماء الشكلي على معظم الطلاب مما يعكس إفراز

للضعف في الارتباط العقدي والاصطباغ المنهجي بالمبادئ التي تتضمنها الهوية الثقافية . وتتفق هذه النتيجة مع التوجه النظري للدراسة وخاصة في تأكيد وجهة نظر سوروكين في أن الإفراط في الحداثة أو المعاصرة يؤدى إلى مرحلة تتميز بضعف الهوية ، ومن ثم ضعف الانتماء أو التظاهر الشكلي به [أنظر : Sorokin, P. (1992) op. cit., P. 20] ، كما تتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة محمد إبراهيم مجاهد بعنوان : بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها عام (٢٠٠١) التي أوضحت أن هناك شعوراً بالاغتراب من جراء استيراد نماذج ثقافية غربية مما انعكس على ضعف الانتماء ومن ثم استهداف الهوية الخاصة بالمجتمع .

ولعل الانتماء الحقيقي يكون إذا توافرت له جملة من المواصفات التي ترتقى به من مجرد الانتماء الشكلي دون شعور بتلك الهوية في حقيقتها ومضمونها ، ولعل أبرز تلك المواصفات لهذا الانتماء أن يكون انتماءً حقيقياً لا وراثياً ولا عفوياً ولا عاطفياً ، لأن الهوية الثقافية هي منهج حياة تقوم على مفاهيم محددة عن الكون والإنسان والحياة ؛ فعدم إدراك هذه المفاهيم أو عدم الالتزام بمضامينها إضافة إلى غيرها من المبادئ بحيث يتحقق وعي عقدي والتزام فكرى يجعله انتماءً عاطفياً عفوياً أو بالوراثة ولا يحقق المراد منه .

وأن لا يكون انتماءً مصلحياً يهدف لتحقيق مصلحة شخصية أو مآرب خاصة، إذ الانتماء لهذه الهوية يعنى إخضاع المنتمى مصالحه لمصلحة الأمة وليس العكس ، وهذا يربط الانتماء بالعمل ، ويؤكد على صدق النية لدى المنتمى ، ولابد أن يكون هذا الانتماء مصيرياً أيضاً بحيث يرتبط مصير المنتمى بمصير تلك الهوية الثقافية ؛ فهو ليس انتماءً مرحلياً وينتهي أو ظرفياً فيزول بل هو انتماء مؤبد لا انفكاك منه ولا تراجع عنه .

المحور الرابع :

صورة اللغة العربية في مدارسنا المصرية اليوم :

اللغة وإن كانت من وسائل الاتصال اللغوي الرئيسية بين أفراد المجتمع ، فهى أيضاً وسيلة للتعليم تترك آثاراً بناءة في القدرات العقلية وعناصر التفكير إذ أنها تحمل للعقل أنماطاً من الأساليب وتنقله من تفكير إلى تفكير ، وتعينه على الفهم العميق والإدراك الواسع ، وتوليد المعاني والأفكار .

وقد كان يُنظر إلى اللغة العربية قديماً على أنها تشتمل على عدة فروع مستقلة هي : القواعد النحوية ، القراءة ، التعبير بنوعيه الشفوي والتحريري ، الإملاء ، القصة ، الأدب ، وعلوم البلاغة ، أما الآن فقد أصبح ينظر إليها على أنها فنون أربعة وهى : الاستماع ، الحديث ، القراءة ، الكتابة ، وتعليم اللغة يجب أن يتم في ضوء هذه الفنون الأربعة . [أنظر : أحمد على كنعان ، مرجع سابق] .

ومن هنا اتجهت المدرسة في مرحلة التعليم الأساسي بتعليم فنون اللغة ومن أهدافها الرئيسية تزويد التلاميذ بالمهارات الأساسية للغة ، مع تنمية هذه المهارات بما يتناسب مع قدراتهم العقلية بحيث يتمكنوا في نهاية هذه المرحلة من استخدام اللغة استخداماً صحيحاً في الاتصال والدراسة ، لأن مرحلة التعليم الأساسي وخاصة في المرحلة العمرية من ٦ - ١٥ قد تكون مرحلة منتهية بالنسبة لعدد من التلاميذ ، لذلك فهم بحاجة إلى السيطرة على الفنون الأربعة للغة حتى يستطيعوا التعامل مع مجتمعهم بكفاءة ، ومن ثم يمكنهم تحقيق أكبر قدر ممكن من التنمية الذاتية . [أنظر : سيد عويس ، مرجع سابق ، ص ١٧] .

أما الآخرون الذين سيواصلون تعليمهم فاللغة في غاية الأهمية بالنسبة لهم لأنها تمثل أساس المراحل التعليمية اللاحقة ، بل إن نجاحهم في المراحل التالية يتوقف على نجاحهم في مرحلة التعليم الأساسي .

وفى هذا الصدد يطرح التساؤل التالي نفسه : هل نجحت مرحلة التعليم الأساسي فعلاً في تزويد تلاميذها بالمهارات الأساسية للغة ؟ وهل هؤلاء التلاميذ يستخدمون اللغة استخداماً صحيحاً ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تكشف معطيات الدراسة الميدانية من واقع ما سجله موجهو اللغة العربية في كثير من سجلات الزيارات بمدارس التعليم الأساسي (الابتدائي والإعدادي) عن ضعف التلاميذ وتدنى مستواهم فقد أكد أحد المبحوثين من أفراد العينة على ذلك بقوله : " إن الآباء غاضبون من أن أولادهم عاجزون عن الكتابة بلغة عربية سليمة " .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة إدوارد سعيد بعنوان : كيف نحيا باللغة العربية ؟ (٢٠٠٤) ، والتي كشفت عن ضعف بل وعجز طلاب كافة المراحل التعليمية وخاصة طلاب المرحلة الثانوية في توظيف ما يدرسون من قواعد نحوية في أحاديثهم وكتاباتهم فشاع اللحن على ألسنتهم وكثرت الأخطاء في كتاباتهم . [أنظر : Said, Edward, (2007) P. 8] .

وفى هذا الصدد عبر موجهو اللغة العربية في مقابلاتهم مع الباحثتين من واقع ما يلاحظونه على مستوى طلاب المدارس في كافة المراحل عن أن الضعف المتفشي في التعليم اليوم ليس قاصراً على مرحلة التعليم الأساسي والثانوي فقط ، بل يشمل أيضاً طلاب الجامعات فهم عاجزون عن تدوين مذكراتهم وتلخيص محاضراتهم وبحوثهم ، كما أنهم عاجزون عن إرسال برقية أو كتابة دعوة أو رسالة بلغة عربية سليمة .

ومن الملاحظ أن هذا الأمر لا يتوقف عن ذلك بل تعداه إلى نطاق واسع ؛ فلقد أكدت عينة الدراسة على عدة حقائق منها :

- تداخل الألفاظ مع الفصحى في كتابات تلاميذ الصف الخامس من مرحلة التعليم الأساسي ؛ فقد استعار التلاميذ من العامية على سبيل المثال استخدام جمع المذكر السالم دائماً بالياء والأفعال الخمسة محذوفاً منها النون ، أما الأسماء الخمسة فهي

مرفوعة بالواو ويستعملها التلاميذ في الحالات الثلاث رفعا ونصبا وجرا دون مراعاة للوظيفة النحوية للكلمة أو الموقع الوظيفي لها ، كما لم يفرق التلاميذ بين جمع المؤنث السالم وجمع المذكر السالم .

- وضع المذكر في موضع المؤنث والعكس وهو ما يسمى بالتطابق النوعي .

ومن خلال المقابلات مع السادة موجهي اللغة العربية تم الوقوف على أهم أسباب هذا الضعف ، فقد أكد أحد المبحوثين قائلاً : " أن ما أصاب اللغة والاعتداءات التي تتعرض لها من أسبابها وجود ٢٥٠ مدرسة في مصر تُدرس مناهجها بعيداً عن اللغة العربية تماماً " ، كما أضاف المبحوث أن المصطلحات الغريبة التي يتداولها الطلاب اليوم وخاصة من قِّبل المراهقين والشباب تقلل من اللغة العربية ، وإصرار الناس على استخدام العامية مما يسرع بتزايد وتيرة التردي والهبوط ، وأشار إلى أن الجامعات الأجنبية التي يتم إنشاؤها الواحدة تلو الأخرى سنكتشف بعد مرور عقد أو عقدين أنها تخرج جيلاً من الشباب سيكون انتماؤهم لما تعلموه وسيؤدى ذلك بدوره إلى توسيع الفجوة بينهم وبين الخريجين من طلاب الجامعات الحكومية من ناحية أخرى .

كما أسفرت مقابلات الباحثتين مع عينة الدراسة عن أن معلمي اللغة العربية ضمن الأسباب الرئيسة لتفشى هذا الضعف ، وقد أثار هؤلاء الموجهين العديد من الجوانب التي تدين المعلم وخاصة معلم اللغة العربية وكان من أهم هذه الجوانب ما يلي :

- معلم اللغة العربية التحق بكليات الآداب أو التربية قسم اللغة العربية والغالبية العظمى منهم لم تكن دراسة اللغة العربية هي هدفهم المُفضّل ؛ فهم لم يدرسوا اللغة العربية حباً في دراستها بل أهلهم لدراستها إما المجموع أو التطلع إلى العمل بعد التخرج بإحدى الدول العربية ، أو المكافأة التي كانت تمنح لدارسي اللغة العربية تشجيعاً لهم ولغيرهم حتى يقبلوا على دراستها ، أي أنهم يدرسون مواد لا تتفق مع ميولهم ولا تشبع رغباتهم وخاصة المادية ، وبالتالي فتحصيلهم من أجل النجاح لا من أجل السيطرة على فنون اللغة ومهاراتها .

ومن الطبيعي ألا ننتظر من مثل هؤلاء الدارسين أن يكونوا معلمين أكفاء وفى هذا الصدد يقول أحد موجهي اللغة العربية " طالب قسم اللغة العربية هو معلم الغد، من أين يتكلم العربية الصحيحة وهو لم يسمعها من معلمه خلال مراحل تعليمه المختلفة ؟ ففاقد الشيء لا يعطيه !!! " .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة باولو فرايرى B. Fryri بعنوان : المعلمون بناة ثقافة – رسائل إلى الذين يتجاسرون على اتخاذ التدريس مهنة عام (٢٠٠٤) الذي أوضح فيه أن الطلاب وخاصة في مرحلة التعليم الأساسي بكافة مستوياتها مجرد مخازن للمعلومات المبتسرة التي تملأ عقولهم ، بالإضافة إلى المقررات الدراسية التي تغذى ثقافة السمع والطاعة والخضوع كما أكد أن المدرسين هم موظفون يؤدون عملاً روتينياً جامداً لا تجديد ولا ابتكار فيه . [أنظر : باولو فرايرى ، مرجع سابق ، ص ١٨] .

كما تتفق هذه النتائج مع رأى عبد العزيز القوصي في مؤلفه الشهير : الحاجة إلى التغيير عام (١٩٨٩) بقوله : " تلاميذنا اليوم تتم تنشئتهم على الأنانية والسطحية والمظهرية وحفظ الأشياء في الذاكرة ومن شأن ذلك أن يحقق تعليماً بنكياً " . [أنظر : عبد العزيز القوصي (١٩٨٩) ، ص ١٢] .

- في مرحلة التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية تعد لغة الدراسة الرئيسية هي اللغة العامية الدارجة حتى في درس القواعد النحوية العربية ، والدراسة الجامعية في أقسام اللغة العربية تلقى فيها أكثر المحاضرات بالعامية الدارجة ، أضف إلى ذلك ما عليه عدد لا بأس به من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة من ضعف المستوى اللغوي ، وهشاشة المادة العلمية . وفى هذا الصدد يعلق أحد المبحوثين من عينة الدراسة بقوله : " فإذا كان رب البيت بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص!!! " .

ومن الأمور الخطيرة أن ينصرف اهتمام الكثير من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات خاصة الجامعات الإقليمية إلى بيع كتبهم ومذكراتهم أكثر من اهتمامهم

بالمادة العلمية التي يقدمونها ، بل أكثر من مواظبتهم على محاضراتهم ، فقد لا تتعدى المحاضرات عدد أصابع اليدين طوال العام الدراسي ، ونتيجة لذلك يضطر الطلاب إلى الاعتماد على الكتاب يحفظونه عن ظهر قلب دون فهم أو تدريب ؛ فكيف يكون الحال إذا كان هذا الكتاب من كتب النحو ؟

إن دراسة النحو لا تؤتى ثمارها إلا لمن وعى مفاهيمها وتمكن من أساليبها وعرف مبادئها وتدرّب عليها .

ولو بحثنا في مدى إعداد معلم اللغة العربية بكليات التربية فنجد ما يلي :

أ – تشتت الطالب بين المواد التربوية والمواد الأكاديمية ، فكم من المواد الدراسية والكتب التربوية والأكاديمية لا يستفيد منها في وظيفته كمعلم إلا قليلاً .

ب – التدريب العملي لهؤلاء الطلاب لا يحقق أهدافه المرجوة منها لعدة أسباب منها :

١ – يتم أحياناً توزيع مجموعات كبيرة من الطلاب على مدارس محدودة الفصول لا تحتمل هذه الأعداد ، مما يؤدى إلى قصر عملية التدريس على القليل من هؤلاء الطلاب وحرمان الآخرين .

٢ – حتى لو كان عدد المجموعات مناسباً ، فلا يمارس الطلاب عملية التدريب سوى مرتين أو ثلاث مرات على الأكثر طوال العام .

٣ – بعض المدارس لا تسمح للمتدربين إلا بحصة أو حصتين فقط في يوم التدريب ، وتعتبر يوم التدريب مضيعة للوقت ، هذا بالإضافة إلى أن المدرسين الأساسيين ينتقدون الطلاب المتدربين ويستهينون بهم أمام التلاميذ .

٤ – تهاون الكثير من المشرفين الفنيين على هؤلاء الطلاب في متابعتهم وتوجيههم وتقويم أدائهم .

ومن العوامل المؤثرة في مستوى المعلم أيضاً كما يراها موجهو اللغة العربية أنفسهم قلة الدخل الشهري لهم وخاصة مدرس اللغة العربية بالمدارس الخاصة ؛ إذ

أنهم يتقاضون مرتبات أقل من زملائهم معلمي المواد الأخرى كاللغات والرياضيات أو العلوم .

بالإضافة إلى ترقية المعلمين تتم وفق الأقدمية لا وفق الكفاءة والتميز ؛ مما يدفع العديد منهم إلى عدم المبالاة وعدم الحماس لتنمية نفسه مهنياً وعلمياً واكتساب مهارات جديدة لمسايرة التطور .

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة مصطفى يوسف منصور بعنوان: تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها عام (٢٠٠٧) حيث أوضحت نتائجها أهم التحديات التي تواجه المدرسة وهى ذات بعدين داخلي وخارجي وتتمثل أهمها في التدخل في تغيير المناهج ، واستهداف الهوية ، واستدماج القيم العالمية ، وتدنى نوعية التعليم ، وغياب المعلم القدوة . [أنظر : مصطفى يوسف منصور ، مرجع سابق] .

كما تتفق هذه النتيجة مع رأى فرانسوا ماريت F. Mariet في توضيح أن التعليم اليوم خرج عن الإطار المحدد له ، وتخلى عن وظيفته الرئيسية ورسالته السامية وهى تخريج أجيال واعية مثقفة قادرة على النهوض بالمجتمع . [أنظر : Dockrell, J. (1993) P. 37] .

المحور الخامس :

المخاطر التي تواجه اللغة العربية في ظل تحديات العولمة :

تعتبر اللغة من أهم مقومات الهوية الثقافية للأمم والشعوب ، حيث ترتبط قوة اللغة وانتشارها بقوة أهلها ؛ فاللغة على حد تعبير بن حزم يسقط أكثرها وتبطل بسقوطها دولة أهلها أو دخول غيرهم عليهم في أماكنهم أو تنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم ، فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وإخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها ، وأما من تلفّت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلة وخدمة أعدائهم فمضمونه موت الخاطر ، وربما كان ذلك لشتات لغتهم ، ونسيان أنسابهم

وأخبارهم ، وبوار علومهم ، وهذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالفعل والضرورة . [أنظر : أحمد دهمان ، مرجع سابق ، ص ٣٢] .

ولذلك تعانى اللغة العربية في الوطن العربي غربة وسط بعض أبنائها في وقتنا الراهن ، وهذا أمر ليس مستحدثاً على اللغة العربية ؛ فهي تتعرض لأشكال مختلفة من الغزو بين الحين والآخر وتختلف أشكال هذا الغزو من مجتمع إلى مجتمع عربي آخر، وفقاً للمؤثرات والظروف المختلفة للمجتمع .

ويمكننا إبراز المخاطر التي تواجه اللغة العربية في ظل العولمة من وجهة نظر عينة البحث من موجهي اللغة العربية في الآتي :

١ – الابتعاد المتعمد عن اللغة العربية ، ولا نبالغ إذا قلنا الكراهية الواضحة لدى بعض الناس لهذه اللغة ، وهذا قد يكون بدعوى صعوبة اللغة وصعوبة قواعدها.

وصعوبة اللغة حجة يتعلل بها كثير من الناطقين بالضاد على اختلاف بلدانهم، بينما نجد مجتمعات عربية أخرى قد لا تعانى نفس القدر من تلك الازدواجية ، حيث تكون اللغة المتحدث بها في غالبيتها لغة عربية فصحى مثل المجتمع السعودي ، ولكن أيضاً نجد ضعفاً واضحاً لدى العديد من أبنائه على المستوى القواعدي والجمالي للغة .

٢ – الانسلاخ السلوكي عن اللغة العربية الأصيلة ، وهذا أيضاً يختلف من مجتمع إلى مجتمع عربي آخر وفقاً لانفتاح هذا المجتمع وتشربه للمؤثرات الأجنبية ومحاولة الطبقات المختلفة في المجتمع لإحلال اللغات الأجنبية وفى مقدمتها اللغة الإنجليزية محل اللغة العربية ؛ فقد نجد بعض الأسر يتحادث أفرادها فيما بينهم باللغة الأجنبية ، وقد يصل التأثر حد الاختلاط الذي لا يستطاع فيه معرفة الأصيل من الدخيل .

وفى هذا الصدد يعبر أحد أفراد العينة من وجهي اللغة العربية عن ذلك بقوله: " قد سمعت مشرفة في روضة الأطفال في إحدى الدول العربية وهى

تدعوهم لدخول الفصل فتقول لهم يالا جُو جُو ، أي اذهبوا ويفهمها الأطفال ولا يستغربون ما تقول " . بينما يعبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله : " إن التحدي الذي يواجه اللغة العربية في هذا العصر مرده إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغة الأجنبية الناتج غالباً عن الانبهار بكل ما هو أجنبي ، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية للجميع . بل والتحدث بها بين العرب أنفسهم وهذا الشعور لا يأتي إلا من الإحساس بالهزيمة النفسية التي يعانى منها الإنسان العربي في هذا العصر والإعجاب المتنامي بصانع الحضارة المعاصرة الذي يمثل المنتصر والأقوى " .

ويستطرد المبحوث تعليقه بقوله : " إن هذا الإعجاب يبدأ من المجتمع حين يتحذلق بعض الناس باستخدام ألفاظ وتعبيرات لا تدعو إليها الضرورة وبعضها له أكثر من مرادف بالعربية مثل كلمة ok التي لها أكثر من مرادف منها : (حسن، طيب ، كويس) ، وهذه الكلمات كانت مستعملة في عاميتنا إلى عصر قريب إلى أن حلت محلها كلمة ok عند كثير من الناس " .

ويضيف مبحوث آخر إلى ما سبق بقوله : " إن من صور افتتان الناس باللفظ الأجنبي واستعمالهم إياه مع وجود البديل كلمة موبايل Mobile وهى تعنى الهاتف – الجوال ؛ فإن كثيراً من الناس في البلاد العربية يستعملون هذا اللفظ الأجنبي مع وجود أسماء عربية عديدة متوافرة له على امتداد الوطن العربي وهى الجوال والنقال والمحمول " .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج البحث الذي قام به عارف الكميم بعنوان : الأرض بتتكلم أفرنجي عام (٢٠٠٦) والذي أوضح فيه عقدة الخواجة التي تطارنا في معظم مجتمعات العالم العربي في كافة المجالات وذلك على حساب الهوية القومية والأبجدية العربية . [أنظر : محمد رشيد ناصر ذوق ، مرجع سابق ، ص ٩] .

وتتفق أيضاً مع نتائج دراسة فايزة حسن بعنوان : الدعوة إلى اللغة العربية

عام (١٩٩٩) التي أكدت نتائجها على اجتياح اللغات الأجنبية وفى مقدمتها اللغة الإنجليزية معظم مجالات الحياة في المجتمع المصري . [أنظر : Hassan. Fayza (1999) P. 12] .

٣ - ومن ملامح تلك الغربة أيضاً تلك الكثرة الملحوظة في الأسماء الأجنبية على واجهات المحلات والشركات أو المؤسسات ، والتي بلا شك لها تأثيرها النفسي الكبير على الجو العام في المجتمع المصري .

٤ - والأسماء الأجنبية لا تقتصر فقط على المحلات والشركات ، ولكنها تنسحب أيضاً على الأشخاص حتى أنه أصبح من الضروري أن يحمل البعض معه ترجمة لاسمه حين يُعرّف بنفسه .

ويبدو التحدي سافراً للغة العربية في كافة مجتمعاتنا العربية ومنها المجتمع المصري بفعل العولمة والتشبه الساذج بالأجنبي عندما تجاهر كثير من المحلات التجارية والمؤسسات الخاصة والشركات العاملة في الوطن العربي بكتابة لافتاتها باللغة الأجنبية ، وتسطير تقاريرها وصياغة عقودها وإصدار تعليماتها إلى العاملين فيها وإن كانوا عرباً باللغة الأجنبية ، الأمر الذي يمس الوضع السيادي للغة العربية بوصفها اللغة الرسمية في مجتمعاتنا العربية ، وفى هذه الحالة يرقى الفعل إلى درجة الاستهتار بهيبة الدولة والانتقاص من كرامتها ، وفى بعض الدول المتقدمة يشكل هذا الفعل جريمة يعاقب عليها القانون .

وإذا تحدثنا بشكل مباشر عن تأثير العولمة في المجال اللغوي فإنه من المقولات الاستشراقية في هذا التوجه - والتي أشرنا إليها في نظرية الدراسة في الصفحات السابقة - ما أكد عليه صمويل هنتنجتون من أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم الثقافية والرمزية هي الحدود القتالية . [أنظر : صمويل هنتنجتون ، مرجع سابق ، ص ١٣] .

ويقول السياسي الفرنسي بينوت Pinot لقد خسرت فرنسا إمبراطورية استعمارية وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية [أنظر : مصطفى يوسف منصور ، مرجع سابق] .

وهذا يعنى أن المدخل الحقيقي للاستعمار الجديد هو الهيمنة اللغوية والثقافية ، ولما كانت اللغة تعد أهم هذه المقومات الرمزية فإن النظام العالمي الجديد يسعى منذ أمد إلى تكريس هيمنة لغات معينة ويروج لها باعتبارها لغات العلم والعمل حتى أصبحت اللغات الانفلوسكسونية هي سر التقدم .

ومن المؤشرات الدالة على بداية الصراع اللغوي – كما أوردتها عينة البحث – ما يلي :

أ – التنافس الرهيب في مجال المعلوماتية وشبكات الانترنت ومحطات الإرسال التليفزيوني بلغات معينة ومحدودة مما يحاصر كثيراً بعض اللغات القومية .

ب – العمل على إنتاج ثقافة استهلاكية تخدم النظام العالمي الجديد ، وتوجيه المقولات الأساسية لدولة ما وتقلص من خصوصيتها .

حـ – محاولة إضعاف اقتصاديات بعض الأمم من أجل استلاب حضارتها ، وإضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ودفعها إلى خلق صراعات داخلية .

د – التأثير في ذاكرة الأمة بالسعي إلى طمس التراث الثقافي الأصيل للأمة ومحاولة تشويهه .

هـ – استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة ، وتصدير ثقافات معينة للغات معروفة بوسائل متطورة إلى شعوب لا تقوى على مواجهتها مما يؤدى في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس .

وإذا تحدثنا عن أسباب هذه الظاهرة فسنجدها مرتبطة تماماً بما تحدثنا عنه سابقاً فما نلحظه من كره للغة العربية في المجتمع العربي بوجه عام وابتعاد البعض عنها نجده مرتبطاً في أصله بجهل هؤلاء باللغة العربية وقديماً قالوا : " الناس أعداء ما جهلوا " .

وبسؤال الباحثتين لعينة الدراسة عن أسباب هذا الجهل المتواصل للغة العربية فقد أرجعته إلى سببين رئيسيين هما :

السبب الأول : التعليم ، وهنا قسمت عينة البحث التعليم إلى تعليم حكومي وتعليم خاص .

وفى هذا الصدد يؤكد أحد مفردات عينة البحث أنه إذا ذهبنا إلى المدارس الحكومية فإننا نجد الأمر " الحظ " فالحظ وحده هو الذي يسوق مدرساً متمكناً من الفهم والتوصيل للطلاب ، وهذان مرتكزان تقوم عليهما العملية التعليمية ، لأننا نجد كثيراً من المدرسين غير قادرين على فهم المادة العلمية المنوطين بتدريسها ، أو أنهم تنقصهم القدرة على توصيل المعلومة السليمة إلى الطلاب .

وإذا كان هذا هو حال هذه الفئة من المدرسين ، فماذا يكون حال طلابهم ؟ !

أما المدارس الخاصة أو الأجنبية فإنها برغم ما تملكه من إمكانات ، إلا أنها توجه تلك الإمكانات نحو اللغات الأجنبية وليس نحو اللغة العربية ويهتم أصحاب تلك المدارس أو القائمين على إدارتها دائماً بتغيير سلسلة الكتب الخاصة بالطلاب بعد تقييم نتائجها مع الطلاب ، ولا يهتم القائمون على اللغة العربية بالاستفادة من المناهج المختلفة لدراسة اللغات الأجنبية التي قد تفيد بوصفها نوعاً من التطوير في المنهج الذي ربما يكون من أسباب ابتعاد أبنائنا عن هذه اللغة الثرية .

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة ريما سعد الجرف بعنوان : اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية (٢٠٠٤) التي أسفرت نتائجها عن أن ٩٦ % من الطلاب في الكليات العملية بالجامعة الأردنية ، و ٨٢ % من طالبات كليات اللغات في الجامعة السعودية يفضلون الدراسة باللغة الإنجليزية ، ويرون أن اللغة العربية محدودة في تخصصات معينة فهي لا تصلح إلا في العلوم الدينية والتخصصات الأدبية فقط مثل التاريخ والأدب العربي والتربية ، بينما اللغة الإنجليزية تتسع لتشمل مجالات عديدة ذات أهمية بالغة مثل تدريس الطب ، والهندسة والحاسب وغيرها ، وهذه النتائج تعكس الحرص الشديد على تعلم اللغات الأجنبية وفى مقدمتها اللغة الإنجليزية وضرورة تعليمها لأبنائهم في المستقبل ونظرة الإجلال والانبهار بهذه اللغة في مقابل النظرة الدونية للغة العربية والشعور نحوها بالعجز والمحدودية . [أنظر : ريما سعد الجرف ، مرجع سابق ، ص ٢٣١] .

السبب الثاني : المجتمع .

وفى هذا الصدد تؤكد عينة البحث على أن ظاهرة الانسلاخ عن اللغة العربية هي في حقيقتها انسلاخ عن المجتمع ، وتنتشر هذه الظاهرة عند الذين يسعون إلى الذوبان في المجتمعات الغربية المختلفة اعتزازاً منهم بهذه المجتمعات وظناً منهم بأن ذلك يمثل التحضر والرقى .

وتوضح عينة البحث أيضاً أن من الأسباب الخاصة بالمجتمع نظرة المجتمع الغربي للمجتمع العربى على أنه سوق لتصريف منتجاته ، وأيضاً انفتاح الثاني على الأول ، وقد تمثل ذلك في قيام شركات استثمارية مختلفة الجنسيات في الوطن العربي يكون عائد العمل بها مربحاً ، مما دفع بأجيال من العرب تسعى جاهدة لإتقان اللغات الأجنبية المختلفة وتكتفي من اللغة العربية بمجرد نطقها إن نطقت بها .

وبسؤال الباحثتين عينة الدراسة عن رأى أفرادها في تعلم لغات أجنبية أخرى بخلاف اللغة العربية الأصلية ؛ فقد اتفقت العينة ورأت بالإجماع أنه لا توجد دعوة لنبذ اللغات الأجنبية أو الابتعاد عنها ، بل على العكس أعرب المبحوثين عن حماسهم الشديد لدراسة اللغات الأجنبية والتفوق فيها بشرط أن يكون متعلمها أكثر تفوقاً للغته العربية وأكثر اعتزازاً بها وفخراً بالانتساب إليها . وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله : " لا مانع على الإطلاق من تعلم اللغات الأجنبية الأخرى بشرط ألا يكون ذلك التعلم على حساب اللغة العربية الأصيلة " .

المحور السادس :

مستقبل اللغة العربية (اللغة العربية إلى أين ؟ !)

تعد ظاهرة طمس اللغة العربية الأصيلة من مجتمعاتنا العربية قديمة جداً ، وربما ارتبطت بمجيء الاستعمار الأوروبي إلى وطننا العربي ، ولكنها ومع رحيل الاستعمار اختفت من السطح لتعود مرة أخرى منذ عقد مضى للظهور والانتشار السريع تحت لافتة حضارية مزعومة تنطوي على خطر ملفت للنظر يصعب تجاهله ،

وتتمثل هذه الظاهرة في حمى انتشار الأسماء الأجنبية التي تُطلق على المؤسسات الكبرى والشركات العملاقة وصولاً إلى المحلات الصغيرة والأخطر من هذا أنها وصلت إلى لغة الخطاب اليومي ، إنها هجمة شرسة على اللغة العربية تستهدف إزالة الأسماء العربية من لافتات المحلات وإحلال أسماء أجنبية محلها أو ما يسمى بفرنجة الأسماء والمفردات العربية التي تستهدف لغتنا العربية الأصيلة .

وحول هذه القضية التي تحتل جانباً كبيراً من الاهتمام يرى أحمد محمد الضبيب في مؤلفه " اللغة العربية في عصر العولمة " الصادر عام (٢٠٠١) أن موضة انتشار الأسماء والمفردات الأجنبية تتبع في انتشارها خطاً يشبه انتشار أي موضة والموجات التي تأتي أثر موجات أخرى تترك تأثيراتها المختلفة على الفرد في تعامله اجتماعياً . [أنظر : أحمد محمد الضبيب ، مرجع سابق ، ص ٣٢] .

ويضيف أيضاً أن قضية التسمية دائماً يكون لها منطقها وتتأثر بالقيم السائدة في ثقافة المجتمع ، ويمكن القول أن ظهور موجات الأسماء والمفردات الأجنبية التي تنتشر في أي مجتمع تستمر لفترة ثم لا تلبث أن تصبح مألوفة وعامة فتفقد حيويتها ويتركها الناس لغيرها وأبرز مثال على ذلك هو انتشار الأسماء التركية منذ زمن بعيد، ولكننا الآن لم نعد نستعملها .

فالمجتمع الأصيل مهيأ دائماً لرفض كل أشكال التبعية والاسم العربي سيظل محتفظاً بأصالته ولن تزعزعه من مكانه أي لغة أخرى وظاهرة الأسماء الأجنبية مازالت سطحية ولم تصل إلى العمق .

ويرى باسم على خريسان في مؤلفه بعنوان : العولمة والتحدي الثقافي الصادر عام (٢٠٠٠) أن ظاهرة تداخل الأسماء والمصطلحات الأجنبية بالعربية هي ظاهرة شائعة على مستوى الوطن العربي ، ويرجع ذلك إلى الرغبة في التقليد المشوه للآخر سواء من الناحية الشخصية كتسمية الأبناء بأسماء أجنبية أو من الناحية التجارية، ويضيف الباحث أيضاً أن هذه المسألة هي جزء من حالة الإحساس بعدم الثقة بالنفس والإحساس بأن الأشياء المرتبطة بالأسماء الأجنبية هي محل ثقة وهذا

يمثل بالفعل مشكلة متعلقة بالتبعية الاقتصادية والثقافية والانجرار وراء الآخر . [أنظر: باسم على خريسان ، مرجع سابق ، ص ١٩] .

وفيما يتعلق برؤية أفراد عينة البحث لمستقبل اللغة العربية وخاصة في ظل ما تواجهه من تحديات في عصر العولمة فقد كان هناك اتفاق عام بين المبحوثين على أن اللغة العربية تواجه تحديات شرسة من قِبل قوى العولمة المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية المنتجة للتقنية الحديثة .

ويرجع أفراد العينة هذا التحدي إلى الشعور المبالغ فيه بأهمية اللغات الأجنبية وفى مقدمتها اللغة الإنجليزية وهو شعور ناتج عن الهزيمة النفسية وعدم الثقة اللتان تسودان الشارع العربي اليوم .

وفى هذا الصدد يؤكد المبحوثين من موجهي اللغة العربية على حقيقة جوهرية وهى أن النتائج المترتبة على هذا الأمر ستكون سيئة للغاية على المدى القريب والبعيد سواء من حيث تأثيرها على بنية اللغة العربية التي تعد لغة تاريخية ومكتملة وقادرة على استيعاب كل شيء ، ولذلك فالأمر ليس عجزاً من لغتنا بقدر ما هو اختراق ثقافي خطير لبنية اللغة العربية وللأسف الشديد سيؤثر هذا الأمر على عملية الموروث الثقافي والتاريخي للثقافة العربية والإسلامية .

ويؤكد أحد أفراد العينة من موجهي اللغة العربية قائلاً : " إن تداول الألفاظ الأجنبية في الأوساط الاجتماعية ، وعلى لافتات المحلات ، وفى مراسلات الشركات والمؤسسات ، واشتراطات سوق العمل عند اختيار العاملين مؤكداً أن اشتراط إجادة اللغة الإنجليزية يقف حائلاً الآن أمام المواطن المصري في مجتمعه دون الحصول على لقمة العيش ؛ مما يفتح الباب على مصراعيه للأجانب ليحلوا محله كل ذلك أوجد أزمة لغوية ومسخ لسان المواطن المصري ، وامتدت آثاره إلى مجال التعليم حيث ارتفعت الأصوات التي تنادى بتعليم اللغة الأجنبية للأطفال منذ نعومة أظافرهم ، حتى وصل الأمر ببعض المدارس الآن لتعليم المواد العلمية باللغة الأجنبية " .

بينما يوضح مبحوث آخر هذه القضية قائلاً : " إن هذه الظاهرة قد تؤدى إلى مسخ ومحو العديد من موروثاتنا الثقافية ؛ فنحن لا نؤمن بفكرة العزلة ، وعدم التعامل مع الآخر ، ولكن في نفس الوقت لا نؤمن بفكرة الإلغاء ، ولذلك فلابد من الحرص على استعادة الوعي بالذات 'ه قضايانا الهامة " .

ويرى مبحوث ثالث هذه القضية موضحاً : " أن هذا الواقع الأليم يذكرنا بواقع المشرق والمغرب العربي تحت وطأة الاستعمار وما تم من محاولات لمسخ التعليم وطمس الهوية العربية في مصر والشام والعراق " .

وحول الأفكار التي يمكن من خلالها تنمية لغتنا العربية لاستعادة أصالتها فقد جاءت في عنصرين أكد عليهما أفراد العينة واتفقوا على أنها السبيل لتفعيل اللغة العربية وهما :

العنصر الأول ويتمثل في تفعيل الفصحى :

يمكن القول أن تهميش اللغة الفصحى في حياتنا أدى إلى التخلف الفكري والعلمي وهى التي كانت تمثل على مر العصور وسيلة الإدراك والنقل للأدب والعلوم المختلفة ، وعندما همشت اللغة الفصحى في حياتنا تراجعت قدرتنا الثقافية والعلمية ، وتضاءلت لدينا القدرة على الابتكار والإبداع ، ولكي يتم تفعيل اللغة الفصحى من جديد لتأخذ مكانها الطبيعي في المشروع النهضوي تقترح عينة الدراسة ثلاث وسائل هي :

أ – بث الوعي بين الناس بأهمية اللغة الفصحى ، وإحيائها بين المُحدثّين والكاتبين .

ب – إصدار القرارات السياسية الضرورية التي تحفظ اللغة الفصحى مكانتها في المجتمع وتجعلها فاعلة فيه .

حـ – توجيه الاهتمام نحو الدراسات المنظمة والمستوعبة والمنهجية لدراسة واقع اللغة العربية ، ومعرفة المزاج اللغوي العربي المعاصر ، واستخلاص القواعد التي تخدم استعمالات اللغة الفصحى المعاصرة .

أما العنصر الثاني فيتعلق بمسئولية الإعلام :

وفى هذا الصدد ألقى معظم المبحوثين من عينة الدراسة كل اللوم على الإعلام بمختلف وسائله ؛ فقد أوضح أحدهم أن الإعلام المرئي على سبيل المثال نفاجأ فيه بالمذيعات اللاتي لا يتقّن بعضهن اللغة العربية ، ولا تهمهن الأخطاء اللغوية الفادحة التي يقعن فيها ، فضلاً عن الأسلوب غير السليم الذي يشجع اللهجة العامية أو ما يسمونه بلغة الشباب . وقد أعرب أحد المبحوثين عن تعجبه بتساؤله هل الإعلام دوره الارتفاع بالمتلقين أم الهبوط لمستوى يدفعهم إلى مزيد من التخلف والبعد عن اللغة العربية الأصيلة ؟ !!

كما انتقد مبحوث آخر من موجهي اللغة العربية ما تقوم به بعض الصحف من نشر لموضوعات ومقالات باللهجة العامية فهي تروج بذلك لهجر اللغة العربية ، وتساعد على بعد الجمهور وخاصة الشباب عنها ، مما جعل تلك الأزمة تتفاقم .

وهنا يضع موجهو اللغة العربية مسئولية كبرى على عاتق الإعلام العربي بكافة مستوياته وأجهزته وأن يُعد إعداداً جيداً للمستقبل ، وذلك من خلال النقاط التالية:

١ – تعزيز مكانة اللغة الفصحى في النفوس لكونها لغة المستقبل .

٢ – إفساح مزيد من الوقت للفصحى في شكل جديد يغرى على استعمالها ومتابعتها .

٣ – رصد الأموال للترويج إعلامياً للغة الفصحى والتعريف بها .

٤ – إصدار التشريعات والأنظمة التي تحمى اللغة وتصونها من مزاحمة اللغات الأجنبية لها .

وترى الباحثتان أن الاعتزاز باللغة العربية لا يكون من خلال الخطب الرنانة، وإنما يكون من خلال التطبيق العملي لإحلالها محلها اللائق في النفوس وخاصة في الصغار ، وصياغة المادة العلمية والإعلامية والتعليمية والترفيهية لهم بلغة فصحى سلسة ومحببة وإشعارهم عملياً بقدرتها على استيعاب المنجزات الحضارية .

ولابد أن يجد المواطن العربي أيضاً لغته العربية فاعلة في المجتمع ، مقبولة في كافة المجالات التجارية ، والصناعية ووسائل الإنتاج والتوزيع ، وحتى نتجاوز التحديات التي تواجهها اللغة في عصر العولمة فلابد من التخطيط التربوي والعملي من أجل صياغة مشروع جد لنهوض الحضاري .

وتؤكد الباحثتان أيضاً على حقيقة رئيسية مفادها أن الحديث عن اللغة الأجنبية لا يعنى عدم فائدتها ثقافياً وعلمياً ، ولا يعنى الدعوة إلى الانعزال والتقوقع وإنما توظيفها بما يناسب حاجة المجتمع ؛ فأجواء عصر العولمة التي نشهدها حالياً يمكن أن تعين على إيجاد وسائل وآليات لصالح اللغة ، كما يمكنها أن تقيد من الثورة المعلوماتية وبحوث تعريب الحواسب ومستجدات الترجمة الآلية .

النتائج العامة للدراسة ومناقشتها :

- هناك وعى واتفاق عام بين أفراد عينة البحث من موجهي اللغة العربية بمفهوم الهوية الثقافية على أنها من ناحية تميز الجماعة عن غيرها ، ومن ناحية أخرى أنها تمثل موضع اعتزاز الجماعة ؛ فهي تتألف من منظومة متماسكة من السمات المشتركة بين أعضاء الجماعة في أي مجتمع من المجتمعات .

- هناك اتفاق لدى جميع أفراد عينة البحث من موجهي اللغة العربية على أن الهوية الثقافية العربية تتألف من عناصر أربعة هي : نسق القيم ونسق للمعتقدات وعناصر معرفية وعناصر رمزية ، ولقد احتلت اللغة أبرز مكونات تلك الهوية المرتبة الأولى باعتبارها أهم أدوات العملية الاجتماعية وأدوات صناعة الإنسان . فاللغة هي الواسطة التي تجعل من الأمة مجتمعاً متخيلاً ، وتربط الفرد في وقت وحيز اجتماعي معين مع أبناء أمته ممن لم يرهم أو يقابلهم .

- من منطلق أن اللغة عملية أبدية متداولة بين الناس ، وإذا كانت الدول تقوم بسن القوانين وإصدار التشريعات لحماية العملة من التزوير فمن باب أولى أن تصان اللغة من التدليس والتدنيس ، لذلك اتفق جميع أفراد عينة البحث من موجهي اللغة العربية على أهمية وأصالة اللغة من منطلق حقيقة رئيسية مؤداها أنه بواسطة اللغة يتم توصيل ما تفكر فيه الذات داخلياً إلى موضوع يعيه من هم بخارجها ، فاللغة من وجهة نظرهم تتجلى أهميتها في أنها هي الرابطة الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

- يؤكد أفراد عينة البحث من موجهي اللغة العربية على أن للغة العربية مظاهر معينة تجعلها لغة أصيلة عن غيرها من اللغات الحية ، وقد تمثلت مظاهر أصالة اللغة العربية في جانبين رئيسيين أولهما : أنها لغة قديمة حديثة في آن واحد فقد عاصرت اليونانية واللاتينية والفارسية واستطاعت بما تملكه من مرونة وخصائص متنوعة كالترادف والاشتقاق والقياس أن تستمر إلى اليوم ، وثانيهما أن اللغة العربية تتمتع بخاصية لا نجدها في اللغات الأخرى . وهى القوة والقدرة على

الانتشار لأنها لغة الدين الإسلامي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وتتفق هذه النتيجة مع أحد المحاور الرئيسية الخاصة بالتوجه النظري للدراسة والتي تؤكد على أن المجتمعات العربية والإسلامية تتمتع بهوية ثقافية أصيلة موروثة لا تنفصل عن عقيدة هذه المجتمعات .

- لقد أوضحت الدراسة أن هناك اتفاق عام بين أفراد العينة على أن اللغة العربية هي لغة متأصلة في وجدان كل الناس بأسماء متعددة (آرمية - أكادية - كلدانية - سريانية - عربية - ... الخ .) ولكن عندما ندرك أن جميع لهجات الناس في العصر الحاضر تتدرج وتختلف من حي لآخر ومن مدينة لأخرى حتى داخل الدولة أو المنطقة الجغرافية ونستدرك بعدها أنها جميعاً تعود إلى لهجة واحدة في الأصل ، يتبين لنا جميعاً أن الاختلاف اللغوي لا يشكل عاملاً حاسماً في تحديد الهوية .

- أسفرت نتائج الدراسة الميدانية عن أن هناك ضعف وتدنى في مستوى الطلاب في مرحلة التعليم الأساسي بكافة مستوياتها حتى وصل الأمر إلى حد أن الآباء غاضبون من أن أولادهم عاجزون عن الكتابة بلغة عربية ونحوية سليمة .

ولقد أرجعت عينة الدراسة أسباب هذا الضعف في جانب كبير منه إلى معلم اللغة العربية نفسه وكيفية إعداده بكليات التربية والآداب الذي يفتقد إلى التخطيط التربوي والعلمي السليم .

- أجمعت عينة الدراسة على أن المخاطر التي تواجه اللغة العربية في ظل التيار العولمي تتمثل في أمرين : يعود الأول إلى الابتعاد المتعمد عن اللغة العربية ، وقد عبرت عينة الدراسة عن ذلك بملاحظة الكره الواضح لدى بعض الناس ممن ينتمون إلى المستويات الاجتماعية الاقتصادية المرتفعة إلى حد ما لهذه اللغة ، وهذا قد يكون بدعوى صعوبة اللغة العربية وصعوبة قواعدها بالمقارنة باللغات الأخرى، أما الأمر الثاني فيتعلق بكثرة استخدام الألفاظ والكلمات الأجنبية (وخاصة الإنجليزية) محل اللغة العربية رغم وجود ما يقابلها من مغزى في لغتنا العربية ، وكذلك كثرة استخدام الأسماء الأجنبية على المحلات والشركات ، والأكثر من ذلك

الأشخاص أنفسهم حتى أنه أصبح من الضروري أن يحمل البعض معه ترجمة لاسمه حتى يُعرّف بنفسه .

وتتفق هذه النتيجة مع أحد محاور نظرية الدراسة وخاصة فيما يتعلق بالموجات المتنوعة من الهجمات المتتالية الناتجة عن الحداثة بهدف إذابة المجتمعات العربية والإسلامية في الهوية الثقافية الخاصة بالأمم المسيطرة لفرض النموذج الغربي على العالم أجمع وخاصة في أهم مقوماته وهو اللغة العربية الأصيلة .

- لقد أظهرت الدراسة الميدانية أهم أسباب الجهل المتواصل بلغتنا العربية ويرجع ذلك إلى سببين رئيسيين هما :

سياسة التعليم والتخطيط له ، والمجتمع وما يتسبب فيه من انسلاخ عن اللغة الأصيلة والذوبان في المجتمعات الأجنبية المختلفة خاصة في ظل مستجدات اقتصادية تظهر على سطح الأحداث أهمها النظام العالمي الجديد وما استتبعه من تغييرات في بنية المجتمع الاقتصادية والسياسية والثقافية .

- لقد توصلت الدراسة إلى حقيقة أساسية تتمثل في أن المبحوثين ليس لديهم ما يمنع على الإطلاق من تعلم لغات أجنبية أخرى بخلاف اللغة العربية الأصيلة شريطة أن يكون متعلميها أشد تفوقاً وحباً وانتماءاً إلى اللغة العربية الأم .
- أما فيما يتعلق بمستقبل اللغة العربية فقد تبين أن هناك اتفاقاً عاماً لدى عينة البحث في أن ما تعانى منه اللغة العربية اليوم من مخاطر يعمل على مسخ ومحو العديد من موروثاتنا الثقافية .

ومن هنا فقد رأت عينة البحث أنه بالإمكان تنمية لغتنا العربية من خلال العديد من الأفكار التي يمكن وضعها وتنسيقها في محورين رئيسيين : يتعلق المحور الأول بتفعيل اللغة الفصحى وإحيائها أما المحور الآخر فيتمثل في مسئولية الإعلام بكافة مستوياته (المسموع – المرئي – المقروء) وهى مسئولية جسيمة ينبغي أن يتحملها لإعادة اللغة العربية إلى وضعها الصحيح وتعزيز مكانة اللغة الفصحى في النفوس لكونها لغة الأمة وبناء المستقبل .

المراجع :

أولاً – المراجع العربية :

١ – أحمد بن محمد الضبيب : اللغة العربية في عصر العولمة ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ٢٠٠١ .

٢ – أحمد دهمان : اللغة العربية الصلة الحية بين حاضر الأمة وتراثها الذاخر ، دمشق ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، العدد ١٠٢ ، ٢٠٠٦ .

٣ – أحمد على كنعان : دور التربية في مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين وتعزيز الهوية الحضارية والانتماء للأمة ، بحث مقدم في مؤتمر العولمة وأولويات التربية في الفترة من ٢٠ : ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٤ .

٤ – أحمد مجدي حجازي : العولمة وتهميش الثقافة الوطنية (رؤية نقدية من العالم الثالث) في العولمة ظاهرة العصر ، عالم الفكر ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٩ .

٥ – السيد سلامة الخميس : التجديد في فلسفة التربية العربية لمواجهة تحديات العولمة– رؤية نقدية من منظور مستقبلي ، بحث مقدم في مؤتمر العولمة وأوليات التربية، مرجع سبق ذكره .

٦ – السيد عبد العزيز البهواش : نحو تربية عربية وقائية من مخاطر النظام العالمي في : التربية والنظام العالمي الجديد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠٠٠.

٧ – المهندس وبكرى : الترجمة في جامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٨ .

٨ – إلهامي عبد العزيز إمام : الانتماء للأسرة وعلاقته بأساليب التنشئة الاجتماعية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ١٩٨٤ .

٩ – أولف هانزر : العالميون والمحليون في الثقافة العالمية في مايك فيذرستون ثقافة العولمة – القومية والعولمة والحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٩ .

١٠ – باسم على خريسان : العولمة والتحدي الثقافي ، بيروت ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٠ .

١١ – باولو فرايري : تعليم المقهورين ، ترجمة يوسف نور عوض ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٨٠ .

١٢ – برهان غليون وسمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ١٩٩٩ .

١٣ – حسين شحاتة : إشكالية الهوية الإسلامية ومبدأ الحوار مع الآخر ، جريدة الشرق الأوسط ، ٢٤ يناير ، ٢٠٠١ .

١٤ – حمد والأنصاري وآخرون : آراء طلاب الطب ومواقفهم من تعليم الطب باللغة العربية – سجل وقائع تعميم وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، ١٩٩٨ .

١٥ – حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية في : العولمة ظاهرة العصر ، مرجع سبق ذكره .

١٦ – حيدر إبراهيم : التيارات الإسلامية وقضية الديموقراطية ، بيروت ، مركز دار العربية ، ١٩٩٦ .

١٧ – خالد عبيدات : الفكر العربي ، مركز عمان لدراسات حقوق الإنسان ، ٢٠٠٧ .

١٨ – خلاف خلف الشاذلي : المجتمع العربي الإسلامي بين عولمة الثقافة وثقافة العولمة ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر العلوم الاجتماعية واستشراف المستقبل ، جامعة المنيا ، كلية الآداب ٦ – ٨ مارس ٢٠٠٠ .

١٩ – رجاء محمود أبو بكر : تعريب الكليات العلمية في جامعات الدول العربية ، رسالة دكتوراة ، ١٩٩٧ .

٢٠ – رونالد روبرتسون : العولمة – النظرة الاجتماعية والثقافة الكونية ، ترجمة أحمد محمود ونورا أمين ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ .

٢١ – ريما سعد الجرف : اتجاهات الشباب نحو استخدام اللغتين العربية والإنجليزية في التعليم ، مجلة ديوان العرب ، مارس ، ٢٠٠٤ .

٢٢ – زهير أحمد السباعي : تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية ، الدمام ، نادى المنطقة الشرقية الأدبي ، ١٩٩٥ .

٢٣ – سعد البازي : المثقفون والعولمة والضرورة والضرر ، مقال بعنوان : نحن والعولمة من يربى الآخر ، سلسلة المعرفة (٧) ، ١٩٩٩ .

٢٤ – سامي محمد نصار : قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٥ .

٢٥ – سليمان نجم خلف : العولمة والهوية الثقافية – تصور نظري لدراسة نموذج الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٦١) ، ١٩٩٨ .

٢٦ – سيد عويس : القيم الاجتماعية التي يجب أن نغرسها في نفوس الأطفال ، الحلقة الدراسية عن القيم التربوية في ثقافة الطفل ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .

٢٧ – صامويل هنتنجتون : صدام الحضارات – إعادة صنع النظام العالمي ، ترجمة طلعت الشايب ، ط٢ ، ١٩٩٩ .

٢٨ – عباس محجوب : مشكلات تعريب اللغة العربية ، قطر ، دار الثقافة ، ١٩٨٦ .

٢٩ – عبد الله أبو هيف : اللغة العربية وتحديات العولمة ، تونس ، المجلة العربية للثقافة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ع ٤٣ ، ديسمبر ، ٢٠٠٢ .

٣٠ – عبد الله المهيدب : واقع تعريب التعليم الهندسي في المملكة العربية السعودية – سجل وقائع تعميم وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية ، مرجع سبق ذكره .

٣١ – عبد العزيز القوصي : الحاجة إلى التغيير ، القاهرة ، د. ن ، ١٩٨٩ .

٣٢ – عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، القاهرة ، دار غريب ، ٢٠٠٣ .

٣٣ – عبد الله بلقزيز : العولمة والهوية الثقافية – عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة ، بحث في العرب والعولمة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ .

٣٤ – على الكنز : الإسلام والهوية – الدين في المجتمع العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٠ .

٣٥ – كينج انتوني : الثقافة والعولمة والنظام العالمي ، ترجمة شهرت العالم وآخرين ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠١ .

٣٦ – مايك فيذرستون : ثقافة العولمة : القومية والعولمة والحداثة ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٩٩ .

٣٧ – محمد إبراهيم عيد : الهوية والقلق والإبداع ، القاهرة ، دار القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٣٨ – محمد إبراهيم مجاهد : بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها ، مجلة مستقبل التربية العربية ، مجلد (٧) عدد (٢٢) ، ٢٠٠١ .

٣٩ – محمد بن سعد التميمي : العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة ، ٢٠٠١ .

٤٠ – محمد رشيد ناصر ذوق : مأزق اللغة العربية والانتماء ، مجلة ديوان العرب ، ٢٩ نوفمبر ، ٢٠٠٦ .

٤١ – محمد عمارة : الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري ، القاهرة ، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٥ .

٤٢ – محمد عمارة : مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، نهضة مصر ، ١٩٩٩ .

٤٣ – محمود سمير المنير : العولمة وعالم بلا هوية ، القاهرة ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ .

٤٤ – محيى الدين صابر : من قضايا الثقافة العربية ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

٤٥ – مرزوق بن حنيتان بن تنباك : اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين في المؤسسات التعليمية السعودية – الواقع والتحديات واستشراف المستقبل ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٥ .

٤٦ – مريم إبراهيم الشرقاوي : أساليب تعزيز الهوية في مواجهة الهيمنة الثقافية – رؤية معاصرة لإدارة التعليم في عصر العولمة بحث مقدم إلى مؤتمر التعليم وإدارته في مواجهة الهيمنة الثقافية المنعقدة في الفترة ٢٧ – ٢٩ / ١ / ٢٠٠١.

٤٧ – مصطفى عمر التير : الثقافة العربية والغزو الثقافي – صراع وجود ، الكويت – مجلة شئون عربية ، العدد ٨٥ ، ١٩٩٦ .

٤٨ – مصطفى يوسف منصور : تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها بحث مقدم إلى مؤتمر : الإسلام والتحديات المعاصرة ، قسم أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة ٢ – ٣ / ٤ / ٢٠٠٧ .

٤٩ – معجم اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، القاهرة ، دار المعارف ، ج٢ ، ط٢ ، ١٩٧٣ .

٥٠ – نبيل عبد الفتاح : الهوية الثقافية وعلاقاتها بالنظام العالمي الجديد ، القاهرة ، د.ن ، ٢٠٠٦ .

٥١ – نوفل الأحمد : مجلة التعريب ، سوريا ، العدد الثامن ، ديسمبر ١٩٩٩ .

٥٢ – هانس بيتر مارتن وهارالد شومان : فخ العولمة – الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية ، ترجمة عدنان عباس على ، الكويت ، عالم المعرفة ، ع٢٣٨ ، ١٩٩٨ .

٥٣ – يعقوب أبو حلو وآخرون : تقييم المرحلة الأولى في تعريب التعليم الجامعي التي يتبناها مجمع اللغة العربي الأردني ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع (١٤٤) ، ١٩٨٤ .

ثانياً – المراجع الأجنبية :

1- Ayoub, Georgine: Evolution of The Arabic Language in The 20th Century, Al Jadid Magazine, Vol. 8, No. 40 (Summer 2002).

2- Chahine, Nadine: Identity Crises : Oriental Roots in A Western Package (2003) Posted in Arabic Type and Typography, Com 2006.

3- Dockrell, Julie: Children's Learning Difficulties, A Cognitive Approach, U.S.A. Oxford, 1993.

4- Hassan, Fayza: Advocating Arabic –Al-Ahram Weekly, (Issue No. 452) 21 – 27 October, 1999.

5- Howeidy, Amira: From Right to left, Al-Ahram Weekly, (Issue No. 448) 23 – 29 September, 1999.

6- Inglehart, R.: Modernization and Postmodernization, Princeton University, 1997.

7- Inglehart, R. and Baker, W. E.: Modernization Cultural Change and The Persistence of Traditional Values, American Sociological Review 65, 2000.

8- Said, Edward: Living in Arabic –Al- Ahram Weekly, 12-18 February (Issue No. 677) 2007.

9- Sorokin, Pitrim A.: Social and Cultural Dynamics, New Brunswick, N. J. : Transaction Publishers, ed., 1985.

10- Sorokin, Pitrim A.: The Crisis of Our Age, Oxford, One World Publishers, 2nd ed., 1992.

الملاحق :

دليل المقابلة :

السيد / .....

آمل في التعرف على آراء سيادتكم في القضايا التالية مع خالص الشكر والتقدير .

١ – كيف يرى سيادتكم الهوية الثقافية ؟

٢ – من وجهة نظر سيادتكم ما أبرز مكونات الهوية الثقافية العربية ؟

٣ – إذا كانت اللغة العربية من أهم مكونات الهوية الثقافية العربية فمن وجهة نظر سيادتكم ما الأهمية الاجتماعية للغة العربية في مجتمعاتنا العربية وبالنسبة لمتحدثيها ؟

٤ – من وجهة نظر سيادتكم ما أبرز مظاهر أصالة اللغة العربية ؟

٥ – هل يرى سيادتكم أن هناك علاقة بين اللغة العربية وإرساء قيمة الانتماء ؟

٦ – من خلال خبرة سيادتكم هل ترى أن مرحلة التعليم الأساسي نجحت فعلاً في تزويد تلاميذها بالمهارات الأساسية للغة ؟

٧ – وهل هؤلاء التلاميذ يستخدمون اللغة استخداماً صحيحاً ؟

٨ – في حالة إجابة المبحوث بـــ (لا) يسأل عن أسباب ذلك ؟

٩ – من وجهة نظر سيادتكم ما أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية ؟

١٠ – وهل من وجهة نظر سيادتكم كانت هناك تأثيرات للعولمة على لغتنا العربية ؟

١١ – إذا كانت الإجابة بـــ (نعم) يسأل عن ما أهم هذه التأثيرات ؟

١٢ – من وجهة نظرك من المسئول عن الغربة أو الغزو على اللغة العربية ؟

١٣ – ما هو رأيك في تعلم لغات أجنبية أخرى بخلاف اللغة العربية ؟

١٤ – من وجهة نظر سيادتكم كيف ترى مستقبل اللغة العربية في مجتمعنا ؟

١٥ – وما هي الأفكار التي لدى سيادتكم والتي من خلالها يمكن أن ننمى لغتنا العربية؟